على ضفاف الخابور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جميع الحقوق محفوظة

الكتاب: على ضفاف الخابور

تأليف: ماهين شيخاني

الطبعة الاولى: ٢٠١٤

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين

طباعة. نشر. توزيع

دمشق/ جوال: ٠٠٩٦٣-٩٤٤٦٢٨٥٧٠

Email: akramaleshi@gmail.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ماهين شيخاني

على ضفاف الخابور

قصص

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإهداء

إلى..

كل من شجعني على الكتابة

و أخص بالذكر الأخ القاص حسن سليفاني...

.. إلى حديقتي الصغيرة...

.. إلى كل من اكتوى بنار الحب...

.. الى .... أمل .....

ماهين شيخاني

درباسية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه القصص
هذا القاص..!

مصعوقاً أمام الواقع المدجج بالتناقضات ، الذي يفرز عناصر غارقة في الكاريكاتيرية إلى حد الفجيعة ، يباغتنا الصديق ماهين شيخاني

وهو يجرّ خلفه إرثاً هائلاً من المعاناة ، والمتاعب ، والأحزان ، واللهاث ، ينقر بأصابع واثقة بللور هدأتنا ، ويستوقفنا عبر الدهليز المديد ، المعتم ، الذي يستأثر بروزناماتنا اليومية ، كي نصيخ إليه السمع ، وهو يتشظى عبر إهاب قصصي ، كي نرى ، إننا حقاً أمام صوتٍ ينماز بخصوصية فجيعته ، وألمه ، وارتطامات دويه ، في هذا الوقت الذي يتلقف فيه مجايلوه – من أبناء جلدته بل وسواهم – ضروب فنتازيا الكتابة ، والغرائبية ، ولعل مردّ مثل هذا التخيّر ، هو ان هذا القاص – يدير الظهر لاغراءات ما بعد الحداثة –لينصرف إلى بيئته ، كي يرصدها ، بعد أن يراهن على إنها تعجّ بكل ما هو غرائبي...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولعـلّ معرفـة ذلـك التـو اشـج المـدهش بـين البـاث ونصوصه ، حتى وإن بدا هذا خارج حدود (النص) في لغة النقد الجديد – تدعونا لأدراك بدهية كون الكتابة لدى ماهين شيخاني خياراً لابد منه ، فالكتابة أحد الأشكال الفنية التي التفت أمراسها حول عنقه ، على شكل انشوطة أبدية ، وشدته صوب أتون محرقها ، مكرهاً ، ودعته ان يرى في الدنو من ألسنتها ، ومواجهتها ، شكلاً من أشكال الخلاص على اعتبار إن الكتابة – قبل كل شيء – هي تحويل الدم إلى حبر ، كما يرى رولان بارت ، بل وان – كل طفل يولد ، تقريباً ، يرى أن العالم بشكل ما يحتاج إلى تفسير – كما تؤكد ذلك اليزابيت بووين – وكيف لا بالنسبة إلى حالة ماهين الذي يدفع في كل يوم ضريبة غالية ن وهو يطأ بخطاه عتبة الألفية الثالثة ، لأنه يواجه ككردي ، مهمش ، فنان ن حالة اغتراب هائلة ، نتيجة استلاب هويته .ولعلنا نستطيع فك بعض الشيفرات التي تتضمنها المجموعة بشكل عام كي نرى:

اللغة في مهبّ الضياع

الجسد تحت سطوة المدية

الحلم في دائرة الحجر

الفرح المنفي...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حيث وباختصار ، كل ما هو جميل في عالمه مهدّد بالزوال والإقصاء على نحوٍ صارخ ، الأمر الذي لا يترك أمامه أي مجال للتأني والتزويق ولمّ الأنفاس ، وهذا ما يدعوه لتناول ما حوله ، باستفزازية عالية ، مشوبة بالعناصر الأولى للخطاب ، ضمن الحدود التي تسمح بإخضاع محض الصرخة لأولويات النظام الفني ، انطلاقاً من إن القصة التي يقدمها لنا هي ابنة قضية (من أعظم وأدق قضايا العالم قاطبة) حيث الحدود تمحي بين الراوي والبطل(بل أن كليهما واحد). وإننا لو ذهبنا أبعد من ذلك ، فإننا لنجد في نهاية المطاف صورة فوتوغرافية عما يعيشه إنسانه على نحو عام ، وهذا ما يدفعه لتناول ذلك كله بعين فنان حاذق – وهو طبعاً فنان تشكيلي أيضاً – الأمر الذي يفتح أمامه مجالاً أوسع للرؤية وهذا تحديداً ، ما يجعل من قصته قصة – مواجهة – لا قصة ترف ، ماتعة ، فحسب ، إنها قصة ترتدي ثوبها الشوكي وتمدّ لسانها اللهبيّ لهذا الواقع ، المزري والمدهش ، دونما ورع ، أو انصراف للتفكير بالغوايات التي تأسر الكثيرين من مجايليه ، ممن يكتبون قصصاً مراوغة ، تتوسل محض فنيتها – وتحت الطلب – في محاولة لارضاء أطراف لن تتساوى في معادلة الواقع.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أجـل ، أن قصـة مـاهين لا تخجـل مـن طـرح هويتـها الواضحة غير الموارية البتة ، نتيجة ما سبق – كمواجهة – لتلـك الحالـة الاسـتلابية ، ولـذلك فهـي مشـغولة بعالمهـا الداخلي الذي يرصده الكاتب دون تورع حتى عن اللجوء إلى التفاصـيل الـتي قـد تخـدم رؤاه دون أن تتيح لـه المجـال للاصطفاء ، والإقصاء ، التقنيين ، إنها تماماً حالة من يفكّر بأن يؤكد لمن حوله ، أن المكان الذي يقف عليه إنما تشهد ذاكرته – وبلا ريب – بأنها تفوح برائحته هو وعلى نحو آخر يمكـن القـول: إنهـا باختصـار حالـة مـن يـرى لا ينبغـي أن يسترسل كثيراً وراء هندسة بناء قصر شامخ بسبب بسيط هو أن المكان الذي سيشيد عليه عمارته تلك ، أحوج في زمن اختلال المقاييس إلى تقديم سندات تمليكها من قبل من لا يحتكم البتة إلى لغة العقل والحوار والاعتراف بالآخر – أصلاً –لا برأيه...!! وهذا بالتأكيد نتاج حالة اللاطمأنينة واللاستقرار التي تترك آثار سياط عجا لتها على امتداد الشريط اللغوي للقصص على الدوام . وبهذا فأن الكتابة عند ماهين ذات وظيفة ، والثَّيمة في قصصه لتطغى على سائر عناصر القص الأخرى ، وهو عندما يبصر على امتداد سـاحة الرؤيـة كـلّ هـذا الرمـاد والحرائـق والعويـل والانكسارات لا يمانع بالمجازفة بالكثير من أجل أن يقول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كلمته ، كلمته النظيفة في زمن القذارات والقمع والإلغاء وكتم الأنفاس حتى وان كان مثل هذا ما يدفع بنصّه لمتاخمة بيارات الحكائية ، وضمن الحيّز الذي يشي بتألق الحساسية إلى جانب مهارات عديدة ، مائزة تسجّل للقاص أيضاً ، ولست في معرض رصد كل ذلك .. وإذا كنت عبر هذه التقدمة لا أميل إلى أعمال الجهاز النقدي – درءاً لعدم مصادرة رأي المتلقي إلاّ إنني – وكقارئ – فحسب ، أجد أن قصة – التنهيدة الأخيرة مع الفجر – وحدها ، والتي تتضمنها هذه المجموعة القصصية فحسب ، لتستأهل أن تدعونا كي نقف ملياً عند تجربة القاص ، ذلك لأن هذه القصة تحديداً ، ومن خلال رموزها وشخصياتها ودلالاتها ، بل واللغة المؤلمة التي شغلتها على نحو ناجح ، تماماً ، تليق وتضطلع بحالة التوتر والقلق التي يعيشها صاحب العربة ، أوغودوت الكردي كما أزعم ، والتي تهزّ المتلقي من أعماقه ، وتجعله يشعر دون أي شك انه أمام شخص من لحم ودم وأحاسيس وأحلام وانكسارات.

أجل إنني أجزم لو أن القاص لم يكتب خلال حياته غير هذه القصة فقط. لكان من حقه أن نعده– ومن خلالها فقط –كواحد من قصاصينا المبدعين ، حتى وان انطلقنا في نظرتنا إلى مثل هذه القصة من خلال رؤية ناقدة مثل يمنى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العيد ترى في القصة القصيرة (قولاً لغوياً يبني عالمه بتقنيات خاصة يبدعها) وهو غير بعيد البتة عن رؤية امبرتوايكو نفسه الذي يرى: (النص أن هو إلا نتاج حيلة نحوية – تركيبية – تداولية – والتي يشكل تأولها المحتمل جزءاًمن مشروعها التكويني الخاص) إنه رأي على أي حال...

إبراهيم اليوسف

قامشلي ٢٠٠١/٤/١

ليس الهدف من حياتي هو الفن..بل تحرير شعبي من الظلم والاستبداد...

يلماز غوني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحدود

اخضوضرت الدرباسية وأطرافها ببساط ربيعي، وبدأ الناس يخرجون لرعي ماشيتهم.كنت أنا وزميل لي بالقرب من صوامع الحبوب المتاخمة للحدود.(لولا المفرزة العسكرية القريبة منها لأستطاع الإنسان أن يقفز من سورها ويدخل الى تركيا).

يسألني زميلي عن الدراسة وعن المدة التي بقيت خارج البلدة لإكمال الدراسة وهل أستطيع التوظيف في صوامع الحبوب ، باعتبار دراستي في مجال الزراعة. أثناء الحديث التفتَ نظري الى ديك رومي يأتي باتجاهنا من الشمال.

انتابني شعور خفي وكأن هذا الديك هو قدري ، وتذكرت وعل سيامند تيبستُ في مكاني وأنا انظر إليه. كيف نُتف ريشه وهو يريد ان يخرج نفسه من بين الأسلاك الشائكة الواقعة بيننا وبين تُركيا وبعد محاولات متكررة تخلص الديك أخيراً من أسلاك ونزل إلينا فأمسكنا به.

ابتسم صديقي وقال:يا لطعامنا الشهي لهذا اليوم!!

وبعد فترة قصيرة خرجت فتاة من الدار ، تنظر هنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهناك وكأنها فقدت شيئاً ما انتبهت إ لينا ونحن ننظر أليها فاتجهت نحونا دون أن تبالي بالمفرزة العسكرية أو الحرس ، نعم اتجهت إلينا وأنا مندهشٌ لجرأتها.

أنها فتاة عصرية لباسها يدل على أنها من خارج البلدة الصغيرة.

اقتربت. واقتربت حتى أصبحت على بعد بضع خطوات على مقربة منا. سلمت علينا بالتركية . فقلت:؟

tu kurdmanje

فَرِحَتْ كثيراً لدى سماعها بذلك ورددت بلغتي:نعم إذاً أنتم كرد أهلا وسهلاً.

فقلت لها: ألا تخافين من العساكر .إذا رآك أحدهم سيطلق النار عليك ابتعدي رجاءً ألست من هنا؟

ردّت قائلة: من هنا ولكنني ادرسُ في مكان آخر.

أوه ، يا للصدفة وأنا ادرس في مكان آخر غير الدرباسية.ولكن ماذا تدرسين.

قالت: ادرس لكي أتخرج معلمة مدرسة(خوجة).

حسناً فعلتِ ، معلمة ، ستُخرجينَ جيلاً يستطيعون التقرب من السياج وحتى قطعها أليس كذلك؟.

ضحكت وقالت: هل تعلم أنك جعلتني أنسى ما جئت ابحث عنه. فقد نسيت الديك حيث خرجت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأفتش عنه لنذبحه.

- إذاً هذا الديك لكم ورفعته.

- نعم. نعم!إنه هوبياله من إبليس ، كيف عبر الحدود؟.

- سأرده لكم ولكن بشرط؟

- قالت: قبل ان أتكلم: عرفت شرطك أن لا اذبحه وهذا وعد مني أن لا أذبحه مهما حصل.ولكن قل لي ماذا تدرس أنت.

- قلت: دراستي في مجال الزراعة ولكن..

- ولكن ماذا...؟ ألم تنتهِ منها...؟

- نحن يا آنسة مواطنون من الدرجةالأخيرة .توظيفنا صعب وحياتنا اصعب ، ندرس ونتعلم .نغترب ونأتي إلى هنا – ثم أشرت إلى صوامع الحبوب - لنشتغل عتالين بدلاً عن التوظيف وقفتْ هنيهة دون حراك وكأنها تألمت لمأساتي.

وقالت: أريد منك ان تكتب عنوانك حتى أراسلك وأعرف منك كل شيء فهل هذا ممكن؟.

أخرجتُ القلم وكتبتُ اسمي وعنواني على ورقة صغيرة ووضعت بينها حجرة وقذفت بها إلى الجهة الأخرى ، رفعت يديها لي شاكرة.

فقلت: الباب التي خرجت منها لكم إذاً.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قالت: نعم لنا.

قلت: في أيام الربيع نخرج عادة إلى هنا نتمشى ونريد ان نكون قريبين من الجبل أكثر بإمكانك أن تخرجي يوم الجمعة حوالي الساعة الخامسة على ذاك التل وأنا سأخرج وسأكون هناك قرب ال... - وأشرت بإصبعي إلى الاتجاه المطلوب - فبيتنا قريب من هناك.

أمسكت بالديك ورميته وكأنني ارمي قطعة من قلبي لها وقلت: حافظي عليه. نَظرتْ إلي. لوحت بيدها وابتعدت شيئاً فشيئاً حتى دخلت الباب والتفتت إلينا ورفعت يدها مرة أخرى.

رجعتُ إلى البيت وصورتها لا تفارق ذهني وكلامها لا يفارق من مسمعي إنها نغمٌ لحنٌ موسيقي في أُذُنَي وبقيتُ كالتائه لأيام. وانتظرت وعشت لحظات أعدفيها الساعات والثواني وقد استعرت من صديق لي منظاراً.

وأخيراً جاء يوم الجمعة واقتربت الساعة من الخامسة وقلبي يدق وتراودني أفكار شتى هل يا ترى ستأتي الى موعدها ، أم انها كانت مجاملة لا اكثر ولا اقل ونسيتني؟.

مازال المنظار أمامي. وعيني لا تترك العدسة وإذ يزداد خفقان قلبي وخانني اللاشعور وصحتُ بأعلى صوتي إنها هي...!... إنها هي انظروا...! انظروا جيداً إنها تخرج من الدار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفسها وتتجه نحو التلة المقصودة بالذات لوحتُ لها بيدي وقلبي يرقص فرحاً ، وكأنه يريد ان يخرج من صدري.

لوحتْ أيضا بيديها وبقينا هكذا نلوح بأيدينا حتى غابت الشمس ومنذ ذلك الوقت ،أراسلها وتراسلني ، حتى خصصت ألبوما لصورها وصور أهلها أنها تكتب كل شيء...كل ...ما يجول في خاطرها.. وحبنا يكبر وشوقنا يزداد يوماً بعد يوم...ومع ذلك لا أستطيع رؤيتها ولو مرة واحدة.

رؤيتنا للبعض فقط من خلال الصور والرسائل ، ومناسبات الأعياد من بعيد فقد كتبت لي ذات مرة تقول: لماذا لا تستطيع زيارتنا،فأبناء بلدكم يأتون إلى تُركيا ألا تُحبني بالله عليك إذا كنت تحبني فاحصل لك على جواز سفر وتعالى الليَّ أنني بانتظارك ، مشتاقةٌ لرؤيتك ، أنتَ قدري ، فهل كتُبَ علي ألا أراك.

فقلت: يا حبيبتي ألم أقل لك نحن مواطنون من الدرجة الأخيرة. فأنا محروم من هويتي كإنسان ، محروم من أبسط الحقوق الإنسانية محروم من حق المواطنة فأين لي بجواز سفر كي آتي إليك. آه...أيتها الحدود اللعينة إنك لست من حديد ، لأن الحديد يذوب يتأثر بالبرد والحرارة وحرارة قلوبنا تذوب أقسى أنواع الحديد والسياج.

ومازالت القصة مستمرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العواصم

علمتهُ أسماء العواصم والدول وفهمتهُ أن العاصمة هي كبرى المدن في الدولة ولها أهميتها الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية. فالرؤساء والوزراء يجتمعون فيها ...الخ

نعم ، بدأت اعلمه في وقت فراغه تقريباً كل ما اعلمه ، حتى اصبح يحفظها عن ظهر قلب ، فأسأله عن عاصمة سوريا؟

- يجيب مباشرة:دمشق.
- تركيا...؟
- عنقرة فابتسم وأقول له بالألف وليس العين أنقرة
- العراق...؟
- يرفع رأسه وينظر الى السقف وبابتسامة تبسط فيّه. حيث تتبين أسنانه وينكشف الفراغ بسبب سقوط سنّين من أسنانه اللبنية.
- تذكرت...يبدأ بحرف الباء ...نعم...بغ...بغ...بغداد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمسد شعره حيث يشدني من الداخل موجة فرح

وأقول: غداً إنشاء الله سنتعرف على ثلاث عواصم أخرى

هكذا بدأنا المشوار .أنا وآزاد .إلى إن جاءني ذات مرة وقال:

- بابا ، لقد عرفت...؟

- ماذا عرفت يا بني...؟!

- عرفت ان كل دولة لها عاصمة ...

قاطعته: وهل اغني في الطاحونة ؟ألم أعلمك بذلك؟

- دعني اكمل بابا..لها عاصمة ولها أيضا لغة .أليس كذلك؟

- صحيح ، ولكن من أين تعلمت هذا؟ من المدرسة ام من زملائك؟

- لا... لقد تعلمتها من التلفزيون... القناة السورية لها لغة والتركية لها لغة. حتى انني أصبحت افهم بعض كلمات اللغة التركية.

- نعم صدقت ...كل دولة لها لغة وأضف الى معلوماتك يا عزيزي اللغة الإنكليزية و...اللغة الهندية ... اللغة الألمانية ...ثلاث لغات ...كفى الآن وغداً لغات أخرى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاجأني بحديث اخر:

صديقي في المدرسة لا يعرف مثلي لغتين ، فقط يتكلم لغة واحدة في البيت والمدرسة .أما أنا فلي في البيت لغة وفي المدرسة لغة ، أنا اشطر منه... أليس كذلك...؟

- أنت ولد شاطر وذكي؟!

توقف برهة ، وضع سبابته في فمه ، أدركت بأنه يريد أن يبوح بشيء اخر تنحنح ثم قال:

- بابا...لغة بيتنا ما هي عاصمتها؟

أدهشني سؤاله أحسست بقشعريرة من رأسي الى أخمص قدمي ، حاولت ان اخرج نفسي من هذا المأزق الذي لم احسب له يوماً بأنه سيسألني ولا ان اقف عاجزاً أمام سؤاله.

- عاصمة لغتنا...هي ...لا...ابداً يابني ، لها عواصم عديدة لان مدنها كثيرة وكبيرة جداً ...اربيل...ديار بكر... مهاباد...و ...هذه كلها عواصم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشهد

جلسَ على مائدة العشاء ، لم ينتظر زوجته ، خَرقَ النظام والعادة ، تلقف أول صحن وضعته أمامه ، التهمه وهي مازالت تقدم الطعام ، استغربت لشهيته ونفسيته المنشرحة،يدندن ، يشارك التلفاز في الغناء تارةً ويلتفتُ إليها تارةً أخرى،،يغير القنوات من حين لآخر،،سايرته ، شاركت فرحته،،

وضعت الطعام بأصابعها الرقيقة في فمه الكبير ، كان طويل القامة ،عريض المنكبين ، رأس فاحم كبير شاربان كثان يغطيان فمه وعينان كئيبتان قبل هذه اللحظة ، أما الآن فقد عادت العينان إلى ألقهما وبريقهما ، حادتان وجريئتان،

أما هي فشقراء ناعمة ،دافئة يخال للمرء بأنها ملاك طاهر من العفة والطهارة ولكنها تتجرع الحزن والحرمان . بسبب وضعها النفسي والبيئة الشرقية والأعراف التي لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ترحم./يسقونَ زرعاً لا يثمر ، الأولاد زينة الحياة والدنيا /. لدى سماعها هذه الجمل ، تتمنى أن تسكن مجرة بعيدة مع زوجها وتبتعد عن الهمس والغمز.

كانت اللقمة في فمه حين لاحظ شرودها ، تأمل وجهها القمري وبحركة عفوية ترك كرسيه واقترب منها وقال:

- سعادتي لا توصف أمام محراب جمالك ، كيف كنت سأعيش دونك؟ اخترتك ونعم الاختيار ، يقولون: إذا غضب الله من إنسان بعث له زوجة تُنغص له حياته ، أحمدُ الله حيث أنعَمَ عليّ بأجمل وأحسن زوجة خلقاً على وجه الخليقة.

تسألين ذاتك ما به الليلة... أليس كذلك؟ لماذا هذه الغبطة..؟ما المناسبة؟أسئلة كثيرة تجول في ذهنك حسناً ألا تُريدين لزوجك الحبيب أن يكون سعيداً؟

- أومأت رأسها بالموافقة.

- ابتسم وقال : لقد ارتحتُ اليوم وفككتُ العقدة التي كانت على جبيني/مثلما تقولين/؟

- وبدهشة لا تصدق –نطقت ، ماذا تقول...؟ هل كانت. . . . - وقبل أن تكمل حديثها – قاطعها.

- المعالجة تمت بنجاح...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ارتمت في حضنه ، مسدَ شعرها المسترسل وهمسَ في أذنها: أخبرني الدكتور بأن النتائج كانت مذهلة.. إنها إيجابية مائة في المائة... ولهذا أنا سعيد ...مبسوووووط؟

وارتفع صوته – أراد أن يسمع الأرض والسماء ، النبات والأحياء ، العالم جميعاً.يجب أن يسمعوا ويعلموا بأننا أصحاء قادرون على الإنجاب...

- قفزت من حضنه ووضعت يدها على فمه وقالت بعفوية: ستفضحنا يا مجنون؟! رفع يديها بحنية وقبلهما: كي لا أُجَن ، أريد منك بهذه المناسبة ان نحتفل في أي مكان تختارين ، لنقضي أجمل ليلة عمر لننسى الماضي منذ اللحظة ، ولنعش أيامنا بكل جزيئاتها.

- لا احب الخروج...- واستأنفت ـ خمس سنوات معقول؟ لا أكاد أصدق يا الله كم سأكون سعيدة!

- سعيدة على الناشف لا يكفي ، يجب أن نحتفل. أنه أمر؟ ومن تخالف أمر زوجها سيكون مصيرها نار جهنم.

- حسناً لنحتفل في البيت.

ذهبت الى غرفتها... اتجهت نحو الخزانة ، ارتدت أحلى قميص نوم كان قد أهداها في عيد زواجهما ، فتحت درج الإكسسوارات والعطور... تعطرت وتجملت كعروسٍ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في ليل زفافها. بعد لحظات..ولجت الباب بهدوء لتفاجئه ولكنها صدمت بسكوته وصمته وعدم انتباهه لحضورها . لم يستنشق عبق عطرها ، كانت ملامحه متغيرة ، عيناه ثابتتان باتجاه التلفاز ، وضعيته في الجلوس تدل على عودة العقدة إلى جبينه ثانية.

دَنَتْ منه وهي مرتجة ،خاطبته:ما بك ؟هل مازحتني واختبرت شعوري؟ لا عليك ، لا تحزن أنا راضية بحكم الله وقدره...

كان يحدقُ في التلفاز ، الدموع أخذت مجراها على خده ، والقلب يقطر دماً ، ودون أن يلتفت إليها خرج من حنجرته صوت كئيب لم تسمعه قط.

انظري.. انظر ي ، إنه مشهد حيّ.. إنه حقيقي!.. هل رأيت منظراً أبشع وأمر من هذا المنظر؟ هل رأيت ظلماً أبشع وأقسى من هذا الظلم.

- تكاثف الغيوم الانفعال ولمعت صاعقة الغضب وضرب بكلتا يديه على الطاولة حيث تطايرت الصحون والكؤوس وارتطمت بقاع الغرفة .لم يشعر بألم واستأنف غاضباً: انظري الى إخواننا ماذا يفعلون بنا.

عيونٌ معصوبة ، أعمدة مربوطة بها كُتل آدمية ، أياد مشدودة إلى الخلف ،... الجنود على مقربة أمتار جمهور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مفزوع ، أُسرى مكفهر والوجوه ، ينظرون إلى المشهد برعب جهنمي ، هُدِدوا بالمثل أن ارتكبوا شيئاً من هذا القبيل.

الجنود متأهبون ، العيون في الحدقات ،الأصابع على الزناد ، الأذان صاغية بانتظار الأوامر.

دوت طلقة الإنذار وبدأ وابل من الرصاص ينهمر ليستقر في أجساد الكتل الآدمية ،و نزلت الدماء لتسقي الأرض ، لتثمر.

بعد قليل_أخرج الآمر اللئيم مسدسه ومرَّ على الكتل البشرية ليفرغ ما في مسدسه من الطلقات احتفاء بنشوة النصر ، ثم كرر العملية جنوده الأوباش بالتناوب ليفرغوا الطلقات في رؤوس وأحشاء الكتل .

أحس بأوصاله ترتعد واجتاحه بحر غضبٍ هائج ، يريد أن يغرق العالم بأمواجه وزأر: أين الضمير العالم؟ أين الإنسانية؟

- قالت بحسرة: وما جريمتهم...؟.

- قال: إن الله خلق شعوباً وقبائل ليتعارفوا ، وهؤلاء شعب لهم حق الحياة مثل غيرهم... وها هم اخوتنا في الدين يتعارفون علينا بمسدساتهم وبنادقهم ، اللهم لا حول ولا قوة...اللهم لاحول ولاقوة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على ضفاف الخابور

المقطع الأول:

شاب يافع كغيره من شباب جيله ، يحلم بمستقبل وفتاة جميلة تزين له حياته ، وتشاركه العمر – هذه هي سنة الحياة - ويشاء القدر ان يلتقي بذاك الجمال الحالم وذاك الشعر الذهبي وتلك العينين الزرقاوين من بنات قومه...

وكم كانت فرحته وسعادته حين استجابت له العيون بالموافقة... لغة لايفهمهاإلاهو وكما يقال:نظرة ، فابتسامة ، فكلمة ، فموعد ، فلقاء...وتم اللقاء.

واجتمعت الأحاسيس التواقة لتشكل روحاً في جسدين.

المقطع الثاني:

أصبحت سيرتهما((على كل لسان)) وذاع صيت حبهما في المنطقة كلها... إنها أجمل وأروع قصة حب عذري سمعها جيلنا الحالي...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عند اللقاء ، يخرج قلبه من صدره ليستقبلها شوقاً وهياماً ، يرغب بضمها بين ذراعيه ليرشف من رحيق شفتيها ... ولكن إحساسه المرهف وشفافيته يمنعانه من القيام أو حتى التلميح بذلك حرصاً على مشاعرها ولمكانتها السامية في قلبه.

المقطع الثالث:

يحلمان مثل غيرهما ببناء مستقبلهما وتكوين بيت أسري جميل ، هادئ مبني على أساس متين تسوره هالة من الحب والتفاهم ويرسمان على ورق أبيض مثل قلبيهما مخطط البيت ، غرفة الاستقبال الصالون... المطبخ... الخ

وبدأ –أحفاد بكو - بزرع الأشواك في طريقهما ، فتن.. أخبار ملفقة..كذب..حاولوا التفرقة بشتى الوسائل ، إلا ان محاولاتهم ذهبت سدى ولم تلق النجاح حيث تغلب العاشقان على المكايد والافتراءات بحكمة.

المقطع الرابع:

دنا موعد امتحان..البكالوريا الفرع العلمي- لكليهما- ... وذهب الاثنان إلى المحافظة لتقديم الامتحان لعدم وجود مركز امتحان في بلدتهما..... ، حيث استأجر الحبيب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غرفة متواضعة صاحبتها امرأة عجوز ، تجاوزت السبعين وتعيش على إيجار هذه الغرفة.

أما هي ، فاستأجرت مع رفيقتها ،غرفة قريبة من المدرسة.

المقطع الخامس:

لدى خروجهما من قاعة الامتحان ، كانا ينتظران بعضهما ويتأكدان من تقديم فحوصهما ويحثان على تقديم المواد بشكل أفضل وعلامات أعلى ، لقبولهما في أحسن الكليات. يذهبان في مشاوير خاصة سيراً على الأقدام لساعات طويلة ، وبعدها يتجهان نحو النهر ليجلسا تحت شجرة وارفة على الضفة اليمنى من النهر.

ذات يوم كان جالساً يتأمل الدوائر المتشكلة وهي ترمي بالحجارة لتشكل اهتزازات دائرية تتسع شيئاً فشيئا حتى تخف وتزول.

انتبهتْ... وهو صامت ، يحدق في النهر .

- ما بك...؟ بماذا تفكر...؟ في النتائج...أنا واثقة تماماً من نجاحنا في الامتحان التفت إليها وقال:

- والامتحان الثاني؟! امتحان قلبك،ما هو نتيجته؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هل سيكون مثل هذه الدوائر كلما ابتعدت عن المركز تزول؟

- ماذا تقصد...؟

- حبنا عنيف وقوي ، تحدينا الجميع ومع ذلك أخاف.. أخاف ان يزول مثل نهاية هذه الدائرة.

- وقتها ، سيكون زوالي وفنائي أيضا.

- لا سمح الله ياحبيبتي...(وامسك بيدها) فأحست بدفء يسري في عروقها ليتوزع على جسمها...وهمست في إذنه.

- الى الدراسة يا أستاذ...

المقطع السادس:

ذات يوم دخلت العجوز إليه وقالت:

يا ولدي من خلال معرفتي القصيرة بك ومن خلال هواتفها التي لا تنقطع ، تسألك لحظة لحظة هذه الفتاة جعلتني أحبها دون رؤيتها ، يبدو أنها تحبك بكل جوارحها ، ...تعشقك..لم أر في حياتي قط مثل هذا الهيام والحب ، صحيح انني سمعت بـ((مم وزين)) وبـ ((ليلى والمجنون)) ولكنكما أضفتما اسمين آخرين إلى قائمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العشاق ، أتمنى لكما من أعماق قلبي بل أتضرع إلى الله أن يوفقكما وأن أحضر حفلة زفافكما فيما لو كتب لي ذلك.

المقطع السابع:

يا خابور... انطقْ بما شاهدته..يا شوارع الحسكة.. ياحدائقها... يا جذوع الشجر التي كتب عليها اسميهما ، أو حرفين منهما ورسم قلبٌ أصابه سهم... يا مفكرة الجيب التي مازال يحتفظ بها اقلبي صفحات تلك الأيام ، أيام الامتحان يوماً وراء يوم واقرأي كتابة همساتهما والمكالمات الهاتفية...ابتهالاتهما الى الله سبحانه وتعالى للتوفيق والنجاح لهما.

المقطع الثامن:

توالت الأيام... اقترب يوم إعلان النتائج ، تسارع خفقان قلوب الطلاب ومن بينهما الحبيبان ولسوء حظه لم يكن في البلد حينها ، فتسرع مع زوج أختها لمعرفة النتيجة ، حيث تندفع وسط حشد كبير من الناس متلهفة لقراءة الأسماء.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلحظها احدى الطالبات ، فتتجه إليها ، تبشرها بالنجاح ومجموع علاماتها ، لكنها لا تبالي بنتيجتها وتقول: ابحث عن اسم آخر...

فردت الطالبة: مبروك مرة ثانية ، واقتربت من إذنها وهمست: حبيب القلب ناجح ، ماذا تريدين بعد؟؟

يا الله... قدماها ترقصان فرحاً... أهداها الله سبحانه تعالى جناحين لتطير بهما ، سعادة ما بعدها سعادة...لقد حقق لها ما أرادت واستجاب لدعاءها.

المقطع التاسع:

تركت قريبها في وسط الزحمة وهرعت باتجاه بيت لاول مرة في حياتها ستطرق بابه ، دون خجل أو وجل ... وتطرق الباب:

- يخرج الأب منادياً: من بالباب...تسمع صوته فيذكرها بصوت حبيبها.. بنبراته ويفتح الباب. ، يفاجئ الأب بوجودها ، يعرفها ويعلم بحكايتها مع ولده..

- نعم يا بنتي ، ما بك تفضلي...عسى ان يكون خيراً؟

- خير عمي خير...فقد جئت؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- تكلمي يا بنتي ،لم أعد احتمل اكثر من ذلك؟!
- جئت أبشركم..لقد نجحنا نجحنا نحن الاثنين.

فتطرق كلماتها تلافيف مخه ، يخرس اللسان من شدة المفاجأة ، يتوقف العقل ويبدأ العاطفة واللاشعور للتعبير عن فرحته...

يخرج المسدس الذي كان يحمله يقدم الطلقة الى الأمام ، ولم يعد يسمع سوى صوت الطلقات وومیضها من حين الى آخر...وبعد لحظات ساد الصمت على الجو المظلم..

المقطع العاشر:

يهرول الجيران والناس ، يحتشدون أمام الدار لدى سماع الطلقات وإذا بهم يرون الفتاة ملقاة على الأرض على مقربة من الباب...غارقة في الدم...

يذهل الجميع ، لدى مشاهدتهم ذاك المنظر الفظيع ، كانت يدها مغموسة بالدم وجملة مكتوبة إلى جوارها (أحبك يا...) وفي الحرف الخامس والأخير من اسمه كانت السبابة متيبسة ومستقيمة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التنهيدة الأخيرة مع الفجر

قام ذات صباح كعادته دون منبه لأداء فريضة صلاة الصبح ، استغفر ربه ثم تشهد وهو يتثاءب ، لا يرغب بمغادرة الفراش ،جسمه ثقيل وكأن عظامه متكسرة لقد أمضى يوماً شاقاً في عمله وهو رجل كبير ، مسن ، رجليه غير قادرتين على حمل جسده ، قسمات وجهه وتجاعيدها تدل على تعب وشقاء هذا الرجل طوال حياته.

-فرك عينيه ، ...تثاءب ثانية ولكن هذه المرة لفترة طويلة حيث خرجت معها تنهيدة مرهقة في نهايتها ..آخ..آخ.

استغفر بالله ...نظر إلى زوجته وقد تكورت باللحاف..نهض يفتش عن ثيابه المكومة على الأرض ، وفي إحدى زوايا الغرفة ارتدى ملابسه تحت ضوء خافت من النواصة كي لا يزعج أولاده.

أغلق الباب وراءه بهدوء واتجه نحو الجامع القريب من بيته ليلتحق بصلاة الجماعة (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) صدق الله العظيم.

كان في المراحل الأخيرة من الصلاة ...التحيات... المباركات... الـ...فجأة تذكر عربته التي يعمل عليها...استعاذ بالله... أكمل الآية والتفت يمينه ويسرة أنهى الصلاة...أسرع نحو الباب ليصل إلى حذائه.

انتبه المصلون إلى حالته غير الطبيعية ،لأنه بالعادة يبقى آخر من يخرج...لماذا هذه المرة...؟ الله يعلم ما في الصدور.

انتعل حذاءه ، حاول الإسراع ، رغم مشيته البطيئة ، طالت المسافة أمامه ، تكلم مع نفسه ... أترى كانت موجودة أم لا...! أني لم انتبه...عندما أصل إلى الشارع سيتبين لي كل شيء.....و أخيرا ها..قد وصلت اقترب الشارع ، بضعة أمتار...خطوتان ..وليتأكد من العربة صدق حدسه حين وصل ، وضع يده على جبينه ليمنع انعكاس ضوء الكهرباء الباهر على عينيه... نظر إلى مكانها ... يا الهي...! إنها غير موجودة...أسرع بما فيه من عزم ، وقف في مكانها تماماً ، وضع يده على خاصرته... وقف للحظات ... ثم اتجه نحو الشارع الثاني.

-ر بما أحد الأولاد أخذها وتركها قريبة من هنا - تمتم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مع ذاته ...- ليست هنا لانتقل إلى الشارع....وهكذا انتقل من شارع إلى آ خر ولم يجد لها أثرا حتى أرهق من التعب.

رجع إلى البيت خائباً...فتح الباب بغضب ، استيقظت زوجته مذعورة. مندهشة لتصرفه أشعل الضوء ، بدأ بالسباب والشتائم.

-ماذا حصل...لم هذا السباب ؟(قالت زوجته).

-اختفت ..اختفت العربة ...مصدر رزقنا ورزق هذه الأشلاء(مشيراً بيده إلى أولاده النائمين الصغار) ... انهضي من مكانك يا لبرودة أعصابك هه...كأن عربة الجيران قد اختفت .

-ردًت (بعد أن عرفت سبب غضبه): لعل من احتاجها لعمل ضروري أخذ ها دون أن يوقظنا من النوم...نم وارتح.

-نم وارتح (قالها بسخرية وهو يقلد صوتها وحركة فمها).

-كيف سيأتيني النوم يا خانم وأنا اشعر بفقدها ...آه لو أرى الذي أخذ ها ...

-سألعن أباه ...سآخذ منه أجرة مضاعفة...لا.. لا دون أجرة المهم ان يرجعها هذا يكفي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

-ابدأ سأسلمه للشرطة... انه سارق وليس بذي حاجة... المحترمون يستأذنون ، لا يأخذونها دون علمنا

-كان يغفل حيناً ثم يستيقظ. ، ينهض وينظر من خلال النافذة ، يتخيلها واقفة أمام الباب.. يتجه نحو الباب ، يفتحه بلهفة ولكن...حتى الخيال اختفى ، .. لا يرى شيئاً أمام الباب... يعود إلى غرفته متألماً متحسراً وكأن حفنة من ملح قد نثرت على جرحه ، بقى على هذه الحالة حتى وضح النهار وأشرقت الشمس ، أحضرت زوجته سفرة الفطور ووضعتها أمامه ، لكنه أحس بمعدته تكاد تخرج من فمه وقال بصوت كئيب والحزن باد على سحنته: العربة لم ترجع يا امرأة ...أنها سرقت بالتأكيد خذيها من أمامي لا اشتهي.

تثاقل بنهوضه ، حمل نفسه وخرج إلى السوق ، يفتش عنها بين العربات..في الأزقة في الساحات في الزوايا الميتة ... في الخرائب لعله يجدها ، يسأل من يرى في طريقه...ولكن دون جدوى.. شعر بنار جهنم تصعد إلى نافوخه ألجم لسانه خارت قواه... رجع إلى البيت محموماً... إنها قطعة منه.. عكاز ته التي يمشي بها...لقد رافقته طوال الست والثلاثين سنة منذ أن تزوج وهي شريكة حياته ،لا يفارقها لحظة.. من البيت إلى السوق. إلى العمل ثم العودة بها في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فترة الليل.. دونها يفقد توازنه...اشتد هذيانه لاختفائها ووقع طريح الفراش... زاره الناس ، أصدقاء وأقرباء ، فلم يفلحوا في إقناعه ، كان دائماً يفكر بها شارد الذهن كرجل عاشق تلظى بنار الفراق ، يحن إليها لا يبالي بالزوار...انه فقد قلبه وعقله منذ فقده العربة.

أجل لقد كانت كل شيء بالنسبة له ودونها فهو لاشيء شحب وجهه وهزل جسده.استدعوا الأطباء ، شكلوا لجاناً لدراسة حالته وصفوا له أدوية ولكن دون فائدة.

جلس مع طبيب نفساني ، جلسات عديدة وبعدها اقترح بجلب عربة تشبه عربته.

-بشروه برجوعها...

-قفز من فراشه واتجه صوبها (ليضمها ويقبل أوتادها ليشم رائحة عرقه وتعبه ... وحين رآها تمحصها . دار حولها ..لمس دواليبها..ثم ابتعد وصاح: اريد عربتي.. شريكتي..هذه ليست لي يا أوغاد..خذوها من هنا..سأحرقها أكسر ها... قال احد الحاضرين: ارحموا هذا المسكين ، ارأفوا بحاله ، إنه مريض يكاد يفقد صوابه اجلبوا له عربته... فهل ابتلعتها الأرض... فتشوا في كل الأماكن اقترح شخص ثان ، بان ينادى من خلال مكبر الصوت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الجامع... واتفقوا على الاقتراح فنادى المنادي:
يا أهالي البلدة المحترمون يا أصحاب النخوة والشهامة...لقد فقدت عربة منذ مدة.فمن رآها أو لديه معلومات عنها فله مكافأة ثمينة. أن صاحبها يكاد يموت من اجلها..ارحموا هذا المسكين. وأجركم على الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مرت أيام.. وأسابيع ، ولم ترجع العربة ، نسي الناس حكاية العربة وصاحبها...لكنه لم ينسها إذ ظل يفكر بها على الدوام ، يحلم برجوعها ويقول: لابد إنك في يوم من الأيام ستلتقي بعزيزتك ، بشريكة حياتك ،بحاملة همومك وأحمالك التي تنقلها من مكان إلى آخر ...سترجع إليك...ستدفعها وتدور بها من شارع إلى شارع ومن حارة إلى حارة وتمزح مع الأطفال ، تحرف أسماءهم بقصد أو دون قصد..فتنادي.. ها آنديراغاندي ماذا تفعلين .اصعدي العربة .. واحذري أن تجرحي يديك..أمري لله لقد اعتدتم على ذلك وأنت يا أسمر يا نلسن ما نديلا أيها الشقي اركب مع أختك ولا تخف ، غداً عندما تكبر ستصبح (فدائي).

ذات صباح وعلى إيقاع صوت المؤذن نهضت زوجته ونهرته في خاصرته ، قم إلى الصلاة.. لقد تأخرت عنها.. ماذا بك.. صلاة الجماعة وتركتها .فهل في نيتك هجر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصلاة نهائياً.؟..

نهرته ثانية...لم يرد رفعت اللحاف عن وجهه... صرخت وبصرختها استيقظ الأولاد مرعوبين ، هرعوا باتجاه فراش والدهم المستلقي بلا حراك.

انكبت على صدره أرادت أن تسمع دقات قلبه رفعت يده الباردة مسحت بها وجهها حتى تبللت بالدموع ، فلم تصدق إنه قد مات ، ذلك لأن عينيه كانتا مفتوحتين وكأنهما تنظران لصورة عربة في البعيد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المدير

- افتح قبضتك جيداً..مد يدك..يا غبي أسرع وإلا سأرفعك فلقة أمام التلاميذ جميعاً..لا تحاول سحبها.. أبسطها... إياك ثم إياك أيها الشقي..ألم أحذركم..؟ ألم أجمعكم في ساحة الاجتماع وحذرتكم من الصعود الى السقف ومعاقبة من يصعد..؟ألا تعرف معنى الممنوع..؟

أنت... أنت يا(مفعوص) تخالف أوامري ...قراري...قرار مدير المدرسة.

- توبة ...توبة.. أستاذ لن أفعلها...

- مازلت في الصف الرابع ، مثل الصوص ، خرجت للتو من البيضة وتخالف الأوامر..فكيف لو كبرت... آ..أفتح.. سألقنك درساً وسأجعل منك عبرة لمن يعتبر...من علمك بذلك.. أ... فكرة الصعود ليست فكرتك..؟إنها مدبرة... مؤامرة.. مؤامرة على من... عليَّ أنا آ...حسناً... سأكتب تقريراً مفصلاً وارفعه إلى الجهات المختصة (ومد يده الى ذقنه) وقال: (ولك ما يكون أسمي أبو جاسم إذا ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خليت اللي معلمينك يعضوا اصابيعهم من الندم).هذه مؤامرة.. رائحتها فائحة.. مكيدة نصبها اعدائي لي لوقوعي في هذه المصيدة.. لا..لا..لن يحلموا ابدأ...قل لي من علمك... اعترف .. من وراءك..أبهذه سيوقعونني لأتنازل لهم عن الكرسي (مؤشر بيده الى الكرسي دوار مريح وراء طاولة فخمة).

ردَّ التلميذ ببراءة : ولكن يا أستاذ ما دخلي انا بالموضوع...صعدت السطح لجلب طائرتي الورقية...ولم أعلم بوجودك والآنسة معاً...فوق السطح...توبة...والله توبة.؟ لن أصعد ثانية ولن اعيد طائرتي ان وقعت من على السطح.

-آه يا شقي وتقول لااعلم ..تتغابى..؟ وكيف توجهت صوبنا مباشرةً ..افتح يدك..سأشفي غليلي اليوم...كيف انتبهت الى وجهي مباشرةً..آ...تتفرج على أفلام..آ..تعلمت النقطة الحمراء...آ.. ولك لما كنا مثلك...مانسترجي نرفع رؤوسنا امام مدرسينا...كنا ننزلها للارض احتراماً لهم.. أما انت يا حشرة ياللي مالك محل بين الاعراب..تتقدم باتجاهنا وعيونك مثل عيون البوم ...مباشرة ...أستاذ في حمرة على وجهك وفمك... ولك من وين تعلمت هالشي ، الحمرة تعلمتموها ام الدرس فمثل الاطرش بالزفة... يا كسالى.؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- كلا يا أستاذ والله عندما صعدت السطح..حسبت بان كومة من الثياب وضعها الفراش (الآذن) ولذلك تقدمت نحوها-اقصدنحوكم – حسبت بان طيارتي قريبة منها-ولم اعرف بأنكما (متكومان).

- اسكت أيها النذل..يا عديم التربية ...اذا لفظت كلمة اخرى سأفصلك من المدرسة..قال متكومان قال..حذار لو تفوهت بهذه الكلمة..سأزجكم في السجن أنت ووالدك أقول بأنني رأيت منشوراً سياسياً في جيبه يخص والده وبأنك اعترفت بذلك.

- لكن ..لم احمل في جيبي شيء..

-ذا شغلي انا؟.

- ثم... بنطلوني وصدريتي بلا جيوب.؟عندها قال المدير:

- للمرة الاخيرة احذرك..لو تفوهت بكلمة لاحد... حتى التلاميذ.. افهمت.. سأبلغ الشرطة ليمسكوا والدك ، يزجونه في السجن..(الاتحب أباك)..هل سمعت.. السجن.. انقلع ولا ترني وجهك ثانية يا عديم التربية.

(وقبل ان يخرج من الباب) استوقفه قائلاً:

-اسمع.. غداً عليك الحضور مع والدك...ولي امرك افهمت؟ لا تأتي إلا وهو معك؟.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ولكن يا أستاذ... والدي.. قاطعة قائلاً:

مـاذا.. بوالـدك.. هـل تـوفي في هـذه اللحظـة... أكـذب.. أكذب.. لقد مر عليَّ وعلى شاكلتك العديد

لن اقبل أي عذر...مريض ...كسيح...مشلول...مافي؟

- ولكن والدي...

-مابه..؟..

- إنه في السجن

(فانبسط فم المدير بابتسامة عريضة) وقال:

ها... عظيم... عائلة اونطجيـة...بـلا تربيـة...بـلا أخـلاق... أصحاب سوابق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليتني كنت السابع

انطلقت الحافلة المليئة بالركاب ،باتجاه المدينة البعيد والتي تستغرق رحلتها الاعتيادية ،حسب خط سيرها المقرر من قبل إدارة المرور/خمسُ ساعات،ولذلك حاول الأستاذ مصطفى مدرس مادة الفنون وأخوه ، قطع تذكر أمامية ، قريبة من جهاز الفيديو ،ليتسلوا بمشاهدة الأفلام لحين وصولهما إلى المدينة.

أخرج سيكارةً من علبته وضعها في فمه ،وهو يفتش عن ولاعته المهداة إليه في إحدى المناسبات ، وقبل أن يشعل السيكارة ،كان مرافق الحافلة واقفاً على رأسه.

- لو سمحت ،الشركة تمنع التدخين ،يرجى التقيد والالتزام بذلك.

أبتسم مصطفى وقال: تكرم...أهلاً وسهلاً بك وبالشركة ، طالما ممنوع للكل ، ولكن بما أنك منعتني من التدخين ، أليس من حقي أيضا .أن أطلب(كاسيت)لفيلم هندي يكون على مزاجك.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- بكل سرور(قالها المرافق ذو الشكل الجميل والأنيق في ملبسه). لديَّ فيلم هندي باسم مرد وسأضعهُ بعد الضيافة مباشرةً.

كانت الحافلة تنطلق كالسهم تخترق البوادي دون أن تعيقه صعود أومنحدر. وكان منظر قافلة من الشاحنات الكبيرة التي تئن تحت حملها ، تحاول جاهدة الإسراع دون فائدة . كسباق مجموعة من الشيوخ العجز مع لشاب رياضي نشيط ، فقد بقيت القافلة وراءها حتى فقد أمل اللحاق بها.

الأشجار الحراجية وأعمدة الكهرباء والهواتف تتراجع من جانبي الطريق. التفت انتباهه الى فلاح شاب بجانبه فتاة تحت ظل شجرة وارفة.خرجت تنهيدة طويلة من صدره وغلب عليه الخيال كانا على مقربة من نهر الخابور ...تظللهما أشجار السرو والسنديان.جالسان على مقعد أسمنتي ويده تشبك يدها. وهي صامتة.

- ما بك...أحبك...أحبك أنت فقط .لاأحد غيرك لها مكان في قلبي.

- ولكن أخبروني...نعم أخبروني بأنك على علاقة مع فتاة أخرى – قالتها بحزن

- أخبروكِ.. من..؟ عمك الذي سحب علينا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسدس ، أنه رياءٌ وافتراء. يريدون أن يبعدوك عني يريدون أن تذبل زهرة حبنا...أهواك أنت..أعشقك أنت .. دونك الدنيا بلا..

-أعرف مشاعرك اتجاهي ومتأكدة منك يا حبيبي ، ولكن كلماتهم عنك تضايقني ، عند سماعي بذلك يقشعر بدني أتألم !! آسف لأنني أخبرك عن مكنونات قلبي.

- هل تضايقت...؟

- أبداً...

- ولكنني سببت لك الازعاج– قالها مازحاً: بمناسبة هذا الخبر المزعج والكاذب ، ماعليكِ إلا مراضاتي ومراضاتي ليست سهلة كما تعلمين.؟

ضحكت وقالت: اغمض عينيك...وبعدها ستنال ما تطلب.

وأغمض عينيه وهو في نشوته العارمة.

حاول فتح عينيه ،أحس بضبابية الألوان وشعر بدوار في رأسه وكأن كابوساً مرعباً زاره في المنام ...ارتعب وصرخ بأعلى صوته حتى جفلت الممرضة الواقفة إلى جانبه... ماذا حدث.. أخبروني؟

أين...أنا..؟أين الحافلة.؟..أخي..أخي أين هو..؟ يا إلهي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رأسي... تؤلمني..

اقتربت الممرضة ، مسحت أثار الدم المتبقي على وجهه وعيونه وبَعَدَتِ جفونهُ عن بعضها وزالت الأوساخ بالقطن المعقم وقالت:

هوّن عليك ياأخ... أنك رَجُلٌ...حمدا لله على سلامتك... كان حادثاً مؤسفاً ذهب ضحية اللامبالاة ستة أسخاص من جملتهم السائق ومرافقه ، المساكين ماتوا قبل أن يصلوا الى المشفى ، أما الباقي فأغلبهم أصيب بكسور وجروح بسيطة ، وأخوك بخير وهوفي الغرفة رقم(١٧) ولكن للأسف هو أيضاً مصاب في ساقه.

- أريد رؤيته...أرجوكم...بالله عليكم طمئنوني.

- أطمئن ولا تخاف ،صدقاً أنه بخير وقد يزورك بعد قليل ، هو أيضا قلقٌ عليك وأخبرناه بالحقيقة مثلما أخبرناك.

- أريد رؤيته ولو لدقيقة واحدة ، خذوني إليه... أرجوكم... أتوسل اليكم...وأثناء ذلك سمع دقات على الباب-ودخل عليهم رجل- وقال:

- مرحباً يا أستاذ...يا فنان...مد يده للمصافحة .

- يبدو أنه يعرفني /قالها في سره/.

- كانت يده اليمنى سليمة ،أراد أن يمدها للضيف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القادم إليه ، وحين رفع بصره وتفحص ملامحه،تجمّدت يمناه وتغير لون بشرته وقال بمرارة (يكاد لا يسمع): أنتِ.

- نعم أنا...المساعد أبو الزند ، ألم تقل بأنك تستطيع رسمي خلال خمس دقائق ، ها أنذا آت إليك.لقد رأيت أسمك في سجلات المشفى وسمعت بالحادثة ، بالمناسبة أنا أعمل هنا كاتباً ، فقد سُرحت من الوظيفة مثلك...ألا تريد أن تفي بوعدك ، أم أنك نسيتني.

- كيف لي أنسى ذلك اليوم ، مداهمتكم لبيتي في ساعة متأخرة من الليل. استقبالكم وحفاوتكم...كيف أنسى كلماتك الرقيقة عندما قلت: سأنسيك حليب أمك... كيف أنسى ذلك السوط والخيزرانة والكبل الرباعي وغرفة التحقيق ، ومعلمك كيف أنساه وأنتما الأثنان تتناوبان على تعذيبي نفسياً وجسدياً وذلك دولاب قياس٦../١٤عندما وضعتموني فيه .وهو يقو لك:

ابن الـ...مهيأ حالو نفسياً.

- كان يتذكر تلك اللحظات الأليمة كشريط سينمائي– وما زالت يده ممدودة كما هي ، قال: لاتؤاخذني على ذلك ، كنت مرغماً ، ذلك كوني في (.....) لقد كانت وظيفتي آنئذ...

- وظيفتك كانت إهانة الناس وتحطيم مشاعرهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأحاسيسهم ، وبصوت مخنوق_ماذا فعلت لكم...؟ شتّان مابين عملي وعملك...لقد حرمتني من وظيفتي كوني أقمت معرضاً فنياً دون أذن منكم...ألم يكن عندنا سلطات مثلكم..أم أنك كنت التحري البطل،واستغللت الوظيفة لأحقادك الشخصية... ألم تخاف من ربك وأنت تقول لمعلمك أقاويل كاذبة ، ملفقة ، كي يزداد جرمي وأمامي ، ولم استطع أن أتفوه بشيء.. أنت تعلم بأنك افتريت... كذبت (ومازالت يده كما هي). ولكن مثلك لايخاف أحداً. لأنك بلا رحمة ولاضمير...

وتدخلت الممرضة في تلك اللحظة وقالت: هدىء من روعك يا أخ... الانزعاج مضر وسيء بالنسبة إليك وقد يجلب لك مضاعفات نحن بغنى عنها...

-لا يا أختاه... ليتني كنت السابع ولم أر وجه هذا الرجل ثانية.

تراجع إلى الوراء محاولاً إسناد ظهره الى الوسادة ، ونزلت يد أبو الزند الى الأسفل واتجه نحو الباب بعد أن همست الممرضة في أذنه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جوكندا تسرق المعرض

باعتباري مدرساً لمادة الفنون ومولعاً بالألوان والزيوت ورائحة النفتالين فقد تطوعتُ بمحض إرادتي للإشراف على إقامة معارض مدرسية للطلاب والطالبات والمواهب الفنية تشجيعاً لهم حتى أن بعض طالبات الفنون النسوية نقيمها في صالات العرض أو في صالات المدارس الثانوية المخصصة لذلك.

هذه المرة ، الصالة كبيرة ، امتلأت فيها اللوحات الزيتية والمائية والرسوم الكاريكاتورية والجبسية والنحت والتحف الفنية.

في منتصف الصالة ، طاولة كرة المضرب (بينغ بونغ) دون شبكة ، وضعت عليها أعمال مميزة من الجبس والنحت والأعمال اليدوية ...الخ .

كالعادة كنت جالساً مع زميل لي هو المسؤول عن القاعة ، وراء طاولة بجانب الباب لاستقبال الضيوف ، حيث كنا على استعداد تام لشرح بعض اللوحات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والإجابة عن أسئلتهم وملاحظاتهم .

كانت القاعة في الفترة الصباحية تعج بالحضور وبشكل خاص الطلاب والطالبات وحتى تلاميذ الابتدائي ، أما فترة المساء فكانت قليلة الجَلَبَة ومريحة وروادها يكاد يعدون على أصابع اليد.في هذا الوقت بالذات لفتَ انتباهنا قدوم فتاتين.

إحداهن تبدو عادية في ملامحها وشكلها ، أما الأخرى فإنها تسحرك للوهلة الأولى ، تبدو أميرة ...ملكة ...لا بل جوكندا بذاتها ...نعم جوكندا- استنطقتها بشكل عفوي – قامة رشيقة ، ساقان يذكرانك بعارضات الأزياء الإيطاليات ، وجهٌ قمراءُ وأنف أقنى ...شعر مصفف شعرةٌ شعرة ، لاشك إنها بقيت ساعات حتى جعلت منه بهذا الشكل ...بنطال أبيض يكاد ينفتق عن لحمه البض ... رائحة البارفانات سبقت دخولها بمسافة ... أنها لوحة...؟ أنها... موديل؟ نعم موديل بكل ماتعني هذه الكلمة من معنى ...

تحمل على كتفها البض حقيبة صغيرة مزركشة بخطوط ذهبية ، تضاءلت المسافة بيننا شيئاً فشيئاً دَنَتْ... ألقتْ نظرة وسلمتْ بنأمة دون أن نلاحظ حركة شفيتها...

-مرحباً ...

-أهلاً ...؟ أهلاً وسهلاً (وبحركة تلقائية) قلت:

تفضلوا ... أما صديقي فقد كان مشدوهاً وقد فغر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاه ثم تنحنح وقال:

-ما هذا يا أستاذ ...؟! ...لكزته ...هُس ...(عيب)؟

ما عليك إلا التمتع بالنظر فقط (قلتها مازحاً).

استدار صوب آلة التسجيل ليضع كاسيت((مونامور)) الحالمة ، ليحلم بذاك الجمال الرائع.

أما أنا فأصبحت أجوب بناظري من فترة الى أخرى على الحضور ، حتى إذا طلب مني أحد التعليق أكون مستعداً للنداء.

بعد فترة وجيزة استوقفني ملمحها-أقصد الجوكندا- وهي ماثلة أمام أحد الأعمال ، تتأمل لوحة صغيرة هي عبارة عن جذع شجرة رُسم عليها بطريقة الحرق (بحر وسفينة شراعية وسماء وشمس). أما صديقتها فكانت غير آبهة باللوحة بالرغم من وقوفها بجانبها ، يتراقص لاحظاها يمنة ويسرة حيث يتراءى للمشاهد بأنها جاءت تختار عريساً لا أن تشاهد معرضاً.

في هذه اللحظة جاءتني طالبة تصطحب أختها الكبيرة لتطلب مني التعليق على بعض اللوحات .فتوجهتُ معهما الى اللوحات المراد توضيحها.

قالت الأخت: ما رأيك بألوان هذه اللوحة؟

-هذه اللوحة ألوانها ضاربة الى الزرقة وفيها قوة الإضاءة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والعتمة أن هذا الفنان يصور الوجوه بإتقان وبساطة.

-(أشارت الى لوحة ثانية) وما رأيك بهذه؟.

-إن تشكيل هذه اللوحة البسيطة في ذاته يعتبر ويدل على أن صاحبها من الفنانين الجيدين ويمكن اعتبار هذه اللوحة قمة في الرسم الذي يجمع ما بين سحرالإضاءة وقوة اللون الذي يوحي بالاهتمام .

خطت بضع خطوات باتجاه لوحة أخرى وقالت : وهذه خاصة الوجوه ، ما رأيك؟

- الوجوه في هذه اللوحة مألوفة والخيالات الظلية تطل على المدينة في خلفية اللوحة ، تتعرض لانتقاص جذري في سلم القيم ، إنها تُرشح النور في نهاية الظل وتبسط الظاهر.

-شكراً أستاذ ...

-....

لدى اقترابي من الطاولة للجلوس ، تقدم شاب ليدوَن ملاحظاته في سجل الزيارات بعد التدوين ، شكرنا ثم صافحنا وغادر القاعة.

بعد ذلك عدتُ ثانيةً لجهة جوكندا وصديقتها أمام لوحة الحرق ولكنني لم ألمحهن وتبين لي فراغ علىالجدار إذاً اللوحة غير موجودة في مكانها ، أنها فُقِدَتْ ...؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في هذا الجو المعرضي زارتني سحابةٌ كئيبة أقلقتني ونغصت تفكيري واحترت بالأمر ، سألت ذاتي:

- هل أفتش جميع الحضور؟

- لا ...لايجوز ذلك ، قد أتعرض لمشاكل أنا بغنىً عنها.

- ابتلع غضبك مثلما تبتلع لعابك.

- بالله عليك ألا تشك في (؟)

- بصراحة تتجه شكوكي الى فتاة واحدة ، فلِمَ أظلمُ البقية.

- انظر ،كيف تنتقل كالحرباء من لوحة الى أخرى ... أنظر؟

- إذاً سأنتظرها وأمري لله ...

أخيراً وبعد انتظار ممل هاهي وصديقتها تتجهان نحوي- نحو الباب- للخروج بعد نهاية الجولة ، استدركتها قبل الخروج قائلاً:

-أليس لكِ ملاحظة على المعرض يا آنستي ...هذا السجل (أشرت إليه) سيكون له الشرف أن تكتبي فيه بعض ملاحظاتك.

ابتسمت بخبث وقالت: بكل سرور.

-خاصة وأنكِ وقفتِ أمام أجمل لوحةِ حرق.؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فوجئَتْ وردَ تْ بصوت متهدج: أيةُ لوحة ...؟

-لوحة (جذع الشجرة) البحر ...السفينة ... السماء... الشمس أنها رائعة أليس كذلك؟

توردَت وجنتاها وكاد الدم ينبجس منها وقالت: رأيتني إذاً ، ثم استدارت صوب صديقتها وابتسمت ثانية بدهاء وأردفت: بصراحة ...لوحة نادرة وجميلة.

أعجبتُ بها جداً وقد جلبتها معي لاستأذن منكم لأخذها ، وبغنج قالت :اعتبرها

هديـــة أستاااااذ ....؟

ردَ صديقي دون استئذان ليغطي على إحراجها: عليكِ أن تأخذي قطعة من قلوب البشر لا أن تأخذي قطعة شجر.

تبدلت لهجتي حين تأكدتُ من الأمر بأنها فتاةٌ ألعبان

-أرجعيها الى مكانها وشكراً لزيارتك...

تـدخل صـديقي اللجـوج ثانيـة وقـد خُلبـت عقلـه: اعتبريها هديـــة... ولكـن مـني... نعـم مـني أنـا وحـدي... وبغمــزة مــن عينيــه... ســأتكفل بإقناعــه... أنــه معقــد... اتركيه...؟! لايفهم الجمال ...

ارتبكتْ ولم تسجل أيةُ كلمة بمناسبة زيارتها ، التفتتْ إليه ... شكرته وابتسمتْ وخرجتْ مع صديقتها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخطيب

وقف أمام المرآة ، أمسك بالمشط وبدأ يسرح شعره ، ثم وضع قليلاً من الكولونيا بين كفيه وفركهما ومسحهما بلطف على وجهه الحليق ، مد يده الى ربطة عنقه ، شدّها ونادى قائلاً:

- هاتي الجاكيت معكِ ، جاهز وبانتظاركِ ، لقد حان موعدنا ...أسرعي ...؟

- أصبحتُ جاهزة ...ثوانٍ فقط وما علينا إلا النزول الى السيارة (الصوت آتٍ من الغرفة الثانية)

بعد لحظات كانا في السيارة ... نظر الى ساعته والتفت إليها.

- أغلقي الباب بإحكام؟....

وتحركت السيارة ، سلكت الطريق العام ، أثناء ذلك قالت له: ماذا سنفعل...؟

كان يجب أن يرافقنا هو أيضاً ، ففي مثل هذه الحالة يستوجب حضوره.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

-لا عليكِ ، سأتصرف بلباقة وكأنه حاضر... لا تقلقي ولا تحتاري.

(رفع صوت آلة التسجيل قليلاً) ، ضغط على (دعسة) البنزين حيث بدأ مؤشر السرعة بالزيادة ... بعد مرور نصف ساعة ، توقفت السيارة أمام دار فسيحة ، مسورة بأشجار السرو والحور وبعض أشجار الورود ... باب كبير ، خاص لدخول السيارات والجرارات والآلات الزراعية ، وباب صغير عادي ، جميل ، ذو نقوش وتزيينات محاطة بقطع رخامية.

-قال في سره: يبدو أنهم أثرياء جداً.

-قالت في سرها: يبدو أنهم يعيشون أرغد عيش .

قرعا الجرس ، بعد هُنيهة اتجه نحوهم رجل كبير وسيم ذو هيبة ووقار ، ومدَ يده للمصافحة... أهلاً ... أهلاً وسهلاً بالضيوف ، أنا فلان الفلاني والد فلانة ، تفضلا ...من هنا ... أهلاً وسهلاً على الرحب والسعة ...

-تشرفنا ... نحن ...

-أعلم بذلك ... لقد أخبروني وأنا بانتظاركم منذ لحظات... تفضلا من هنا.

دخلا غرفة الضيوف... جلساعلى الأرائك (لم يروها إلا من خلال التلفزيون)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نظــرا الى بعضــهما ، اســترقا النظــر الى المحتويــات الموجـودة في الغرفـة... يـاه...! سـجاد أعجمـي...! فـازات...! ترابيـزات مذهبـة مـن النـوع الفـاخر ، ثريـات...! تـتلألأ في سماء الغرفة ، تحفٌ في صدرها تذكرك بالسنين الغابرة.

-قالت: إذا وافقوا سنكون من المحظوظين في هذه الدنيا وسيكون الله تعالى قد لبى دعواتنا.

-قال: لقد أنعم الله عليهم ، ألم تنتبهي الى الكراج ، فيه جميع أنواع الآلات.. جرارات ... سيارات ...بيكابات آخر مود يل (أبو طاقه).

كـان لعابهمـا يسـيلان مـن كثـرة الانـدهاش والسـرور ، خاصة وانهم لقيا ترحيباً حاراً من كبير العائلة حيث قال لهم بأنه كان بانتظارهم ، أي أنهم موافقون مائة بالمائة .

-قالت: يا رب لا تسود وجهنا ...

-قال: يا رب افتحها بوجهنا ...

دخل المحترم ومعه أفراد عائلته ، حيث رحبوا بهما أيما ترحيب ، وقدموا أفخر أنواع الضيافة وخاصة ذلك التفاح الأحمر الذي تزن الواحدة منه حوالي نصف كيلو غرام تقريباً ... وذاك العرموط المستوي ...

بعد الضيافة ، ابتسم الرجل المحترم وقال: لم يبقَ لنا إلا أن نضيفكم فنجان القهوة... أليس كذلك؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان يقصد التعرف على ابنتهم حسب الشرع لموافقة الطرفين ولخلوهما من الأعذار ـ هذا هو العرف والعادة ـ غَمزَ المحترم لأحدهم ، ففهم منه الرسالة أو الشيفرة ، فذهب لابلاغ الابنة ، لتحضير القهوة وتقديمها لهم .بعد لحظات كانت القهوة جاهزة ، أو بالأحرى جاهزة مسبقاً ولكنها بانتظار الإذن بالدخول.

ها قد دخلت الابنة ، صينية القهوة ترتجف بين يديها ، تتصبب عرقاً من شدة الخجل والفرح بآنٍ واحد.كانت تبلغ من العمر عقدها الثالث ، ذات بشرة حنطية ، طويلة القامة ، شعر أسود فاحم ، مسترسل ، وعينان صغيرتان كثقب الإبرة ، وأنف معقوف...

بعد أن قدمت القهوة ، جلست قرب أختها الصغرى والتي كادت بدورها ، أن تطير فرحاً ، أصبح الضيفان يسترقان النظر من حين الى آخر ، لرؤيتها بشكل أفضل ، حيث كانت تنظر إليها من أخمص قدميها الى فروة شعرها . ثم أخذت رشفة من القهوة وقالت:

- فتيات اليوم يُصبغنَ شعرهن بالأشقر أو الأسود الفاحم ، لقد أصبحت موضة هذه الأيام ...آخ من الموضة... كل يوم شكل.

- ردّتْ أم الفتاة الحمد لله لقد وهبها أجمل شعر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهي ليست بحاجة الى صبغه أو ما شابه ذلك ، ثم أن عائلتنا ، أقصد عائلة أبي ، جميعهم بهذا اللون ،وهي أخذت هذه الصفة الوراثية من خالها الكبير . خجلت الابنة فاستأذنت بالانصراف ولحقتها الأخت الصغرى. التفت الرجل المحترم الى ضيفه وقال:

- إيه ، يا بني ...وأنت ماذا تعمل؟ هل أنت موظف؟ أم تاجر؟ أم مزارع؟ لا اعتقد بانك موظف ،لأن الراتب لا يساعدك لشراء سيارة ...أليس كذلك..؟

- صحيح ...هذه سيارتي واعمل بالأجرة ، لي بيتان ورثتهما عن أبي الله يرحمه

- رحمه ورحم الناس جميعاً ، الإنسان الناجح يا بني يستطيع أن يحصل على لقمة العيش ولونبش الصخر ، ولكن اسمح لي ، حيث تبادر إلى ذهني سؤال فضولي ، هل أنت وحيد والديك؟ لِمَ لمَ يأتِ أحد معك؟ أليس لك أهل...؟عم.. خال ...أخوة ...؟

-لماذا...؟

-البركة فيك يا بني... ولكن العادة تتطلب في مثل هذه الحالة ... وجاهة ... رجال ... انها خطبة ...؟

-لكن الخطبة ليست رسمية الآن... فقط جئنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لزيارتكم ورؤية .....

قاطعه قائلاً: من ناحيتنا اطمئن، البنت موافقة على جنابكم ، وبما أنها موافقة ، فنحن موافقون.

-ولكن مثلما أخبرتكم ، جئنا فقط لزيارتكم ورؤية الفتاة وسنُخبر الخطيب بذلك....

اندهش الرجل المحترم وقال:

-أوه ...؟ ياإلهي إذاً... أنت ...أنت لست الخطيب وهذه المرأة التي معك ليست والدتك...؟

ابتسم الضيف وقال: أنها زوجتي... أم الخطيب ؟؟....

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوصفة

وأخيراً ... توجه السيد خسرو الى الطبيب المختص ، لمعالجة علته التي يشكو منها منذ فترة ، تألم كثيراً ، ذاق الأمرين ، حاول المداواة بحبوب ومسكنات فلم يجد نفعاً .

كان يتعقد وتشل حركته لدى سماعه ببعض الأمراض التي تصاب القدم والساق كالروماتيزم ، غرغرينا ، الدوالي ، النقرس ، داء الفيل ، داء باجت أو لا سمح الله ذاك المرض الخبيث (السرطان).

علته كانت رجله اليمنى ، حيث كان يحس بنار تسري في عروقه بدلاً عن الدم ، من أسفل قدمه الى ركبته وأحياناً تصل إلى فخده ، فعندما يرى أشخاصاً أو يراهم عندما يتصفح المجلات أو يشاهد التلفاز وهم برجل واحدة أو على عكاز ، أو مقعد على كرسي متحرك يُدار بواسطة سواعد ، يتراءى له صور وأخيلة شتى ، يرى نفسه فيهم ، يتخيل وضعه وينذب حظهُ ويرثي لحاله:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مصيري حتماً سيكون مثل هؤلاء الناس يالحسرتي .... يالشبابي الضائع في لحظة خاطفة ...كيف سأعيش..؟

ليس لي أحد ...؟ من سيساعدني ...؟

يا رب...! لاتدعني ألقى هذا الحتف.....؟ يارب خذ أمانتك....

تذكرَ يومَ دخل مطعماً فخماً لتناول وجبة طعام وكانت المرة الأولى في حياته. حيث اشتهاها عندما لاحظ على اللوحة المقدمة من المطعم.

طَلَبَ ...أكلَ ...أنتهى... حمد الله على نعمته واتجه إلى المغسلة ثم إلى المحاسب والذي يبدو عليه بأنه صاحب المطعم ، حيث إلى جانبه امرأة جميلة ولكن الحزن بادعلى وجهها.

لدى دفع الفاتورة تبين له أن المحاسب يجلس على كرسي متحرك. اقشعر بدنه وعكر عليه لذة أكله بعد رؤية هذا المشهد ، خرج من المطعم وهو يفكر بهذا الرجل المشلول وهو يقول في قرارة نفسه: يالله من رجل قوي الإرادة ، أنه يعمل ، يشرف على

حساباته.... ولكن..؟... ولكن هناك من يساعده ، يسانده... يحركه...كانت إلى جانبه لا تتركه أو تفارقه..يبدو أنه عزيز على قلبها...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فياحسرتي.... مَنْ ..؟.... يالله خُذ أما نتك ولا تدعنى كهذا ، وبغتةً تبادر إلى ذهنه فكرة إمكان تطور الطب فرد على ذاته: بإمكاننا شراء رجل صناعية مثلما نشتري أي بضاعة.

ـ آه... لوكان هناك زرعُ رجل ، مثلما يزرعون الكلية أو القلب أو العين ...سيكون الأمر بعد ذلك يسيراً. ولكن أين لي بمبلغ لشراء رجل ، سأعمل طوال عمري ولا أجمع ثمنه .... فَكرَ ملياً ثم وثبَ قائلاً:.... الهجرة ...الهجرة ...؟ نعم الهجرة .. ما عليك إلا الذهاب إلى مكان فيه عمل وإجرة ممتازة (إذا كان الجبل لا يأتي إلى محمد فليذهب محمد إليه) فما رأيك بدولة أجنبية؟

ـ نعم ...سأذهب إلى دولة أجنبية ...زيارة وتجارة وعيون زرقاء كسماء صافيه وجسدً أبيض كالنديف

ـ أجساد هم بيضاء انها لمشكلة..؟

ـ كيف سأزرع رجلاً بيضاء والثانية من لون بشرتي السمراء ، سيكون منظري غير مُرضً ...

ـ لا بأس ...ستغطيها بالبنطال ولن يلاحظها أحد.

ـ إذا خلعت البنطال أمام أحداً هن ....؟ راودته فكرة ثانيه وهي الذهاب إلى الهند... بلد كبير وقوميات كثيرة وألوان حسب الطلب ، زد على ذلك إنهم يبيعون أعضاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هـم بـأرخص الا سـعار وسأشـتري أطـول رجـل بقـروش زهيدة.

وقف على باب العيادة ـ بعد تردد ـ رمح في الصالون.... لا أحـد سـوى الممرضـة الجالسـة خلـف طاولـة خشـبية تتصفحُ مجلة فنية.

ـ مرحباً... هل الدكتور موجود؟

ـ تفضل استرح (ردّت الممرضة) ، ثم انهمرت عليه با لاسئلة هل هذه أول زيارة لك؟ من أي مكان... البلدة.. القرية... الحارة ...الاسم ...العمر...المعاينة لو سمحت..

ـ رد على جميع الأسئلة ، ثم مد يده واخرج النقود.... تفضلي؟.

بعد برُهة رجعت الممرضة الى طاولتها وهي تُداعب خصلات شعرها

ـ تفضل ... الدكتور بانتظارك ياسيد...؟

طرق الباب ثم دخل.... مرحباً...أنا ... أقصد علتي.... مشكلتي.....

ـ اقترب يا أخ خسرو .... تفضل اجلس....؟

بالمناسبة اسم ممرضتي شيرين ... استرح وقل لي ماذا بك با لتفصيل؟ ... مم تشكو ..؟

وبـدأ يشـرح لـه أوجاعـه وآلامـه ، نعـم يـا حضـرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدكتور... ثلاثة أشهر وأنا على هذه الحالة أحس بألم شديد (وضع يده على منطقة الألم)... هذه المنطقة كلها من باطن القدم إلى الركبة ... أي والله دكتور؟؟

ـ حسناً ، لاتخف إنشاء الله ستشفى وسترجع مثل الأول بل أقوى ....تمدد على السرير لو سمحت ..؟ نعم ... أيوه هكذا .... واكشف عن ساقيك ..لدى سماعه هذه الجملة قال في سره: لو زرعت رجلاً بيضاء لانتابت الدكتور ضحكةً هستيرية ، الحمد لله لكوني لم أفعل ، مد يده إلى عرى البنطال وبدأ بفكها – كي ينزل بنطاله شيئاً فشيئاً -.

وضع الدكتور يده على الساق اليمنى وقال:

ـ هل تتألم ..؟

ـ لا

ـ هكذا..

ـ لا..

ثم وصل إلى الركبة ....هل تتألم ؟

ـ نعم .... لا .... ليس كثيراً .

ـ إذاً امش الآن على كعب قدمك ... هل تتألم؟

ـ لا..

ـ حسناً هل خدمت الجيش..؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ نعم ...ولكن ما دخل الجيش في مرضي .../

ـ هل تتذكر التمرين السادس ..؟

ـ لقد نسيت التمارين ، ولم أعد أتذكر شيئاً سوى هذا الألم .

ـ لا بأس .... أمش كالبطة ؟

ـ .....

ـ حسناً ، ارتدِ ثيابك..

ارتدى ثيابه بسرعة ، ولم يزرر قميصه جيداً واتجه إلى طاولة الدكتور.

ـ نعم ... دكتور... إنشاء الله خير ، هل عرفت العلة ... هل احتاج إلى عملية؟ ... كان الدكتور مشغولاً بكتابة الوصفة ، أما هو فقد تلبد أجواءه بالحيرة والقلق (قال في سره) ـ إذا طلب أجراء عملية فورية ماذا أفعل وكيف سأتصرف؟ ليس معي مبلغ كاف؟ سأقول له بأنني غير مستعد اليوم ، وعندما أصل إلى البيت سأقرض بعض النقود؟ ولكن ممن .... نعم ممن سأقرض؟ ... آه يا الهي خُذْ أما نتك ولا تدعنى في هذه الحيرة.

أنهى الدكتور كتابة الوصفة (الراشيته) وقذف بها باتجاه المريض ، قائلاً له: التزم بها

ـ نعم... نعم... إذاً لا احتاج إلى عملية ، شكراً لك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دكتور ، الحمد لله.. ورفع رأسه باتجاه السقف متضرعاً إلى الله سبحانه وتعالى.

تلقف الوصفه ، و نزل إلى أقرب صيدلية ، لدى دخوله فاحت رائحة الأدوية ،

قدم وصفته إلى الصيدلي الشاب.

تمعن الصيدلي في الوصفة ثم ابتسم وقال:

ـ يا أخ هل تعرف القراءة ...؟

ـ من ، أنا ...! ... نعم ، أعرف معي شهادة (بروفيه) منذ خمسة وعشرين عاماً.

ـ حسناً ... هل لك أن تقرأ ما في الوصفة ؟..

ـ لا يا حكيم ... لا أستطيع فك طلاسم الأطباء ... أنها اختصا صكم ..؟!

ـ لا يا أخ ، أنها واضحة تماماً وليست طلسماً أو أحجية ؟. لقد وصف لك

الدكتور قندرة صحية نمرة(٤٣) وهذا هو دواؤك ، الوصفة تصرف لدى محلات الأحذية وليست عندي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محترم... قبل الحصاد

دخلت عليهما الخادمة ، ذات الستة عشر ربيعا ،بثياب قصيرة ومريلة مشجرة ، توحي بألوان زاهية قزحية وصدر مندفع ، بارز ، تكاد تخرج من القميص عنوة حيث فُقِد زرّان من العروة ، وببشاشة وجه وصوت عذب قالت لمعلمتها:

- رجل آخر على الباب...؟

بتثاقل وترنح قامت السيدة مازال في كأسها ثمالة ، وضعته على صينية زجاجية تلمع كالألماس واستأذنت من جليسها بعض الوقت.

كانت تعتبر هذا الجليس ضيفا ، لذا كانت له معزة واهتمام خاص ، ولدى مغادرتها طلبت له كأساً آخر من النبيذ المعتق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما هو ، فقد مد يده الى طاولة قريبة لجلب مجلة فنية ، بدت له من الغلاف ان معظم صورها مشوهة بقلم -البيك- حيث رسم شوارب لفتاة جميلة من عارضات الأزياء ، وزوالف ونظارات لممثلة معروفة ، وكتابات مبعثرة على فخذ ممثلة ، ورسالة عشق وهيام موقعة بحرف سين.

* * *

تحركت أكرة الباب ،رفع بصره باتجاه الخادمة والكؤوس المليئة بالشراب ،حيث وضعت أمامه على طربيزة خشبية ، كأسه المخصوص .وقالت بغنج:

-هذان الكأسان للمدام وعريس الغفلة. وخرجت دون أن توصد الباب.

كان الجو صيفا ،حيث نسمات الهواء تلفح ستائر النوافذ وتهزها بلطف كرقصة سلوهادئة ،وكأنها تستأذن بالدخول لتطارد ذاك الدخان الخارج من فم الجليس وسيكارته.

وهو يقلب صفحات المجلة ، سمع صوتا ، أحس من الوهلة الأولى بأن هذا الصوت مألوف لديه... سمعه بلا شك... ولكن أين؟... أين يا(...).؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- (نادى الخادمة وسألها بفضول) :تأخرت سيدتك، فمن ضيفها العزيز يا ترى ؟!...

- ابتسمت بخبث....؟

- غني اذا ؟... لهذا أطالت الجلوس-القعدة- معه، ونستني تماما، هل اصبحت خرقة بالية....أم جيفة؟

- أبدا ، سيدي، أنت الكل،

- اذا ما تسويغك لتأخيرها،ألا يدل ذلك على أنني أصبحت في عداد... - ولم يكمل- فردّت الخادمة:

- سلني أنا؟ فهي تعترف لي عن مكنونات قلبها،

- بالطبع أنت أمينة سرها(قالها بسخرية)،

- نعم سيدي ، أمينة سرها ، أما سؤالك عن الشخص الموجود ، فهو قادم من منطقة الجزيرة، أسمه .... أسمه... (رفعت عينها باتجاه السقف ووضعت سبابتها في فمها)، إسمه يبدأ بحرف الفاء على ماأظن، فراس.. فارس.. فادي.. أيوه تذكرت،- وقبل أن تنطق باسمه - ازداد خفقان قلبه،

اسمه فؤاد، نعم فؤاد....نعم ،نعم،

- وبعفوية تامة صاح : غير معقول ،.... مستحيل أن يكون... -وتمتم مع ذاته - قد يكون هناك شخص آخر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يدعى بهذا الاسم. تهدل صوته وانخفض وقال: الصوت... النبرة... الحرف المدغوم لديه ، ثم اردف قائلا:

لا... لا ...لا أصدق ...انه رجل محترم. أولاده أصغرهم أكبر مني سنا.

- ردّت الخادمة: أنت أيضا محترم ، لم لا تسأل ذاتك؟. أمثالكم كثر. أليس الداخل رجل كباقي الرجال ، له مشاعر وغريزة... ألم يهبنا الله نعمة الشهوة؟. وعلى ما اعتقد فقد وهبها للبشرية جميعا؟!... لم يفرق بين محترم وغير محترم ، أم أنت الذي تملكها وغيرك لا... مثلما تبغي السعادة واللذة ، بالتأكيد هو أيضا يطمح لذلك....

- بالرغم من صغر سنك ، ألا انك تبدين لعينة.

- ابتسمت...

- ولكن لن أصدقك؟. بالتأكيد هذا الرجل ليس المقصود ، قد يكون الصوت والنبرة والأدغام تتشابه لحد ما.. حتى الاسم ... نعم الاسم ... أما العم فؤاد الذي اعنيه فذاك مستحيل؟.

- لماذا مستحيل؟. ثم لم انت قلق بشأنه ، أتعرفه؟ أهو قريبك؟

أتخاف أن يراك هنا؟.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- لا أبدا... لقد ذهبت بعيدا... بعيدا جدا . مهما حصل فأنا شاب ، أما هو متزوج...وله أولاد ومثلما ذكرت لك فصغيرهم أكبر مني... الا أنني أقولها ثانية لن أصدقك ، مهما كان فالذي أقصده فوق الشبهات ، هيهات أن يكون العم فؤاد؟ انك تفترين؟

- ولم الافتراء. تفضل معي الى الغرفة المجاورة لترى بأم عينك ، و تتأكد بنفسك .

- كيف ؟..أقابله !!..

- من خلف الستارة. وتكون قد تخلصت من هذا القلق والتوتر ....أوكي !!..

* * *

اه ... ياأم ايفون!..ماذا فعلت بالرجل؟... وماذا حل به؟

انه هو.... هو بذاته. فسماعه لكاسيتك المسمى بالليبيدو كاف بدخوله لعالمك المخملي الغريب ، فكيف وأنت جالسة على فخذيه ، وهو يلف خصرك بيد ووضع يده الأخرى على أردافك المحشوة بالإثم والعهر ...انه في حالة نشوة وسكر تامين. ابتعدت عنه الهيبة والوقار .و ابتعد عنك قميصك الشفاف وصدرك الذي يبرز فيه النهدان كإجاصتين ممتلئتين ، مستويتين ، يمرغ فمه من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذقنك الى رقبتك بحركة انسيابية ، ومن ثم الى حلمتك اللامبالية –لأنه قد مرّ عليها الكثير الكثير – ويترك سائلا رطبا من البصاق الممزوج بالخمر على جيدك المحمر من القبلات والعضات ...

* * *

آه... ياجاري المحترم.... يا ذا الهيبة والوقار... أين الوقار؟.

لقد نسيتك الملعونة كل شيء ، ولم تعد تتذكر بأنك تجاوزت الخمسين ، وانك لم تتعر أمام زوجتك يوماً من الأيام بهذاالوضع.... أين الوقار؟..

أنسيت أشهرما قبل الحصاد؟..أشهر الشؤم والفقر المدقع ، أشهر الحرمان ، حيث لا يملك معظم الناس المال في تلك الفترة - وأنت منهم - ويبقون تحت رحمة مصاصي الدماء (درا كولا المواسم). تتعرض أنت وغيرك لاستغلالهم وجشعهم ولكي لاتذل لأي مخلوق فتُمضي - توقع -على السند حسب ما يملي عليهم ضميرهم الغائب - القرش بالقرش - أنسيت؟.. معك الحق . فأفخاذ أم أيفون وخادمتها تنسي الهموم والمشاكل والسلف والعالم والوقار وكل الأشياء.

يالسوء طالعك ،قطعت المسافات ، بعد انتظار طويل..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حصدت.... وزعت ...و الباقي جلبتها معك لتنثرها بين (...) وتمسح لعابك ، لأجل لحظة سعادة أو لذة وهمية.

آه.. .لـو تعـرف بـأنني وراء السـتارة ...أشـاهد فيلمـا سـينمائيا أنـت بطلـه أو ربمـا ضـحيته.... ولكـن مـن سيصدقني... من؟.

أأقـول لاهـالي القريـة ، بـأن صـديقا أخبرنـي بـذلك؟ لاأحديصدق.

أأقول أنني رأيته بعيني هاتين اللتين سيأكلهما الدود؟

سيقولون لي بالتأكيد ،ماذا كنت تفعل في ذاك المكان. وسأفضح ذاتي؟

يالسوء طالعك وطالعي...لأنني لم أستطع حتى البوح.

١٩٩٧ -٤ -٢٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المكالمة

التقط الرقم المكتوب على قصاصة ورق بلهفةٍ لا يصدق ، واخذ يتأمل الرقم.

- يا الله ...لو كان صحيحاً ، سأتحدث معهُ مطولاً. بالتأكيد سيكون حديثهُ شيقاً لايُمل ، إنهُ فنانٌ مثقف ، ليس كغيرهِ من اللذينَ يحملونَ بزقاً أو طنبورة ويرتدون سترةً مُلونة ويضعون في أعناقهم كرافات.

لا...لا ابداً انهُ فنانٌ بمعنى الكلمة ، كلهم يشهدون لهُ بذلك ، حتى سعيد يوسف الأمير. الحديث يجب ان يكون موزوناً يمرُ من العقل قبل النطق والخروج من الفم. يا الله... كيف سأبدأ..؟!

-كان يحدث ذاتهُ - بعد التحية والسلام ...هه... أقول... أنا... أعوذ بالله من كلمة انا. لا... لا تصلح هذه البداية ،... ولا أستطيع التكلم ضمن قوالب جاهزة ومبرمجة سأفرغ ماضي جوفي من كلام وسأثلج صدري وليقل عليَّ انهُ لا يعرف الإتيكيت – وتمتم – إذا كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرقم خطأً. فماذا سأفعل؟.

التفت إلى أخته وقال: هل انت متأكدة من الرقم...؟ لا تحرجينني ياأختاه.

- أخذتها من صديقتي وهي تحدثت معهُ.

طوى القصاصة ووضعها في جيبه ولكنهُ لم يعد يحتمل الجلوس ، فنزل إلى بيته في الطابق الأرضي.

* * *

كانت النجوم ساطعة ومتلألئة منتشرة في السماء ، والقمر مستدير كقطعة نقود مرسوم عليها وجه إنسان ، وكأنهُ يقول: إنني أراقبُ تحركاتكم أيها البشر!. وبالرغم من مراقبة القمر للارض إلا انه كان يبدو جميل للغاية ، يرتاحُ لها العيون ويدخل الأمل في القلوب.

كانت الساعة تشير الى الثانية عشرة وبضع ثوان والرقم المطلوب أثنا عشر أيضاً ، رقم طويل يجب حفظه في الذاكرة ولابد من الانتباه والحذر ، فأي لمسة خاطئة ستجعله ضمن قائمة المزعجين وهذا ما لا يريده.

اجمع قِواه اخيراً وبسمل ، تنفس الصعداء ، نظر في القصاصة والعيون صار يتأرجح كالبندول بينها وبين أرقام الهاتف وإصبعه تتحرك كضارب آلة كاتبة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- صفر ...صفر ...أربع ...ألخ.

- يا سلام... التقط الرقم بسرعة ، يبدو أنني محظوظ الليلة ...

- ترن ...ترن ...تناهت الى مسامعه :يس ...ذيس...إز ... نمبر؟This is the number كاد لا يصدق حينه ... وبلهفة المشتاق قال:

- ألو ... ألو...

- من فضلك باستطاعتك التحدث بعد ٢. دقيقة لو سمعت؟

- ألو... الو...

- من فضلك بعد٢. دقيقة وشكراً... اغلق الخط تجمد في مكانه ، تلبدت في روحه سحابة صفراء كئيبة ، كان الصوت معروفاً... إنه هو ... صوتهُ... بلا شك... نبرتهُ...

- أستطيع أن أميز صوته من بين أصوات العالم اجمع ولكن لماذا بعد عشرين دقيقة. أترى كان الرد من آلة التسجيل أو ما يسمونها السكرتيرة أم كان هو بالذات...

الرقم صحيح مائة بالمائة وهذا بيته !!.. وبشكل هستيري طلب رقم أهله في الطابق العلوي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ألو ... يا جماعة ، احلف لكم باني تكلمتُ معهُ وردّ علي وقال بعد عشرين دقيقة.

تعالت الضحكات من الطرف الثاني من الخط ، وقالوا: سنأتي إليك حالاً... ، لحظات وسمع وقع أقدامهم وهم ينزلون من الدرج ، تجمع الأهل.

كان الهاتف على الطربيزة كشيء مقدس بينهم ، ينظرون الى بعضهم بعضاً تارةً والى الساعة تارةً اخرى وبدا القلق يسيطر عليهم ، الثواني اصبحت دقائق والدقائق أصبحت ساعات...

مازحهم قائلاً: لو كنتم الآن في الفراش... لكان افضل لكم من الانتظار؟. ما فائدة وجودكم هنا حتى هذه الساعة المتأخرة ، سأتكلم معهُ وستسمعون صوتي فقط لان جهازي بلا أنتر فون.

ردّت إحداهن: لا عليك سنجلب الجِهاز من فوق [أشرت نحو الطابق العلوي]. ونسمع صوتهُ.

-[قال في قرارة نفسه] ولكن ماذا سأقول لهُ. وبِماذا أفاتحه... وعن أي شيء سأتحدث؟. في السياسة لا يمكن وقد لا يحبذ ذلك ، سأحرجه حتماً وسأحرج نفسي سيعتبرني ضيفاً ثقيلاً على مسامعه ، سأقول له: نحن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جميعاً – نحبك – صغيراً وكبيراً.

- هذا عادي جداً بالنسبة له ،لأنه فنان كبير ،فمثله يتلقون مكالمات مماثلة ليلاً نهاراً وهذه العبارات أصبحت روتينية لديه.

كلهم ينظر إليه ، مبتسمون حيناً ، منفعلون حيناً اخر ، جالسين في وضعيات مختلفة ، منهم مستلق على الارض ومنهم على الكراسي باستثنائه فقط يتأرجح جيئةً وذهاباً كأرجوحة غير مستقرة ...أخيراً مرّت عشرون دقيقة كانت على أحر من الجمر ، أخذ الكرسي من أحدهم وجلس ليرتاح ويتكلم بأعصاب هادئة... ... هيأ نفسه... استعد لرفع السماعة وبإصبعه بدأ الضرب على الأرقام الطويلة.

- ترن...ترن...و تووووت. ثم انفصل.

- لم يرفع أحد السماعة (قال في سره)

العيون جميعاً في اتجاه واحد ، والكل آذان صاغية ، ينتظرون بلهفة واشتياق ولكن في الطرف الثاني لاجواب... مرة... اثنان...ثلاثة...

حاول عدة مرات ولكن دون فائدة. لا جواب.

تغير ملامح الجميع ، سمع صرير أسنان أحدهم وبدأ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليأس يفترس وجوههم.

- لا عليكم سأحاول مرة أخرى.

- صفر... صفر...أربع ...الخ. ....و لكن دون ردّ أيضاً.

نظر الى الساعة كان عقربها الكبير مطبقاً تماماً على الرقم ستة أي إنهم انتظروا حوالي نصف ساعة عوضاً عن عشرين دقيقة.

- بصوت حزين ومقهور - قال أخوه: سأذهب... غلبني النعاس ، من منكم سيأتي معي؟.

- اذهبوا الى فراشكم ، وتصبحون على خير.

بعد لحظات سمع صوت إغلاق الباب لدى مغادرة الجميع. أما هو فجلس على الكرسي ثانية. واستأنف عمله كضارب آلة كاتبه على الأرقام الطويلة ...رنة... اثنتان... - هالو ...هو سبيكينغ؟.

- الو...أبو جوان يتكلم .

- أهلاً وسهلاً ، اعتقد أنت الذي طلبتني منذ قليل وطلبت منك التأجيل لمدة عشرين دقيقة ، أليس كذلك؟.

- نعم ... نعم أنا الذي كنت...

-أخي الكريم أتمنى أن لا تؤاخذني على التأخير ، كون الاتصالات معي كثيرة ويحتم عليَّ أن أبقى مع المعجبين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- اذا لم نتحدث معك فمع من سنتحدث ، أنت فناننا القدير؟!.

-أشكرك ، نعم يا أخ تفضل بالحديث؟

- صدقاً لا أعرف كيف أبدأ وكيف أعبر لك عن مشاعري وأحاسيسي وعن إعجابي واحترامي لشخصك الكريم ، نحن جميعاً في هذه البلدة الصغيرة نحبك ، نعشقك ونعشق صوتك الصداح. أنت بلبلنا ... لساننا... قلبنا..؟.

كان صوته عالياً ، ونبراته تمتزج بالحزن والفرح ، فسمعوه في الطابق العلوي فقفز أخوه الصغير من الحائط فرحاً وفتح الباب الموصد لأخته . ودخلا الصالون منشرحين كأنهما أنجزا عملاً كبيراً ، يتهامسان.

- أصحيح هو؟ لا نصدق...أتتكلم معه بالذات؟.

- بعد أن وضع السماعة - ابتسم وقال: صدقوني الحديث كان معه ، بالمناسبة سألني عن أحوالنا جميعاً وتمنى لنا الخير والسلام.

- وماذا بعد؟

- تصوروا فقد سأل عن الشتاء والمطر والموسم ، يالذكائه الخارق وكأنه يعرف معاناتنا مع المطر وشحه. ثم استأنف يقول: لقد سألني عن حبي للموسيقى ، وعلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أية آلة أعزف؟.

- وماذا قلت له؟

- لقد أخبرته عن حقيقة حبي للموسيقى والشعر فقلت: أموت في الموسيقى ولكنني مع الأسف لا أجيد العزف ، إلا أنني أعوض عن ذلك من خلال الشعر وخاصة الغنائي منه.

فقال لي: حسناً ...عظيم جداً ،ها أنا وأنت تجمعنا موهبة مشركة.

- غيره ؟...

- قال لي ، هل غنى أحد المطربين أشعارك. فقلت:

- نعم ...هناك أربعة مطربين غنوا أشعاري وأستطيع ان اذكر لك أسماءهم (هنا قاطعني قائلاً):

- أخي الكريم ، احضر الآن كاسيتاً جديداً لهذا العام. وسيكون جاهزاً خلال هذين الشهرين

- إذاً سنسمع جديدك في فترة قريبة.

- قال :هل لديك عنواني؟

- للأسف لا يوجد سوى رقمك.

- اذا أكتب ، وأملى عليّ العنوان : PO box

وقال أأمل أن ترسل أشعارك سريعاً لكي ترى النور قريباً؟.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- أشكرك ...أشكرك جزيل الشكر ، بصراحة لم احلم يوماً بهذه الفرصة ، أنها أجمل وأغلى فرصة ...ان قلبي الآن يرقص من الغبطة والسرور ، تصوروا أخوكم أبو الجوج أشعاره ستغنيها أحلى حنجرة في العالم ...أنه لشرف عظيم؟.

* * *

بالرغم من تأخر الوقت فقد زال السهاد عن عينه ، تمدد في الفراش وهو يحلم بالمجد والشهرة وفكر في كيفية المراسلة ....

- العنوان لدي والأشعار جاهزة. فما المشكلة؟.
- ألا تعلم ما المشكلة؟!
- لا...
- هل تتغابى؟ أنت تعلم جيداً ما هي المشكلة؟. ليكن في معلومك إذا راسلت من هنا ، سيكون مصير الرسالة حتماً سلة المهملات ، إن لم يضف في المصنف المسجل باسمك في دوائر ال...

...يا شاطر؟

- ماذا تقصد؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- إما انك لا تفهم أو انك فعلاً تتغابى ، الذي أعنيه مفهوم وواضح.

- ولكنها فرصة ثمينة ، قد لا تتاح لي مرة ثانية.

- إيه ..أنت حر؟! واعذر من أنذر..

- هناك حل آخر؟

- تفضل هات ما عندك.

- لم لاأرسلها من مكان اخر....أليست فكرة ممتازة؟

- فكرة ...يا لها من فكرة ، أتحسبهم أغبياء؟! ....

- يا الهي أصبحت أتحدث مع نفسي ، انفصام في شخصيتي يا ساتر..

- كانت هذه المحاورة بينه وبين ذاته الى أن استسلم للرقاد.

* * *

في الصباح الباكر وعلى غير عادته ، استيقظ أبو جوان منشرح الصدر ، مغتبطاً ، وكأنه ملك الدنيا ، لملم أوراقه ودفاتره القديمة ، رتب أشعاره المختارة وبخط مقروء وضعها في رسالة وأرسلها مع شخص سيسافر إلى محافظة أخرى ويرسلها من بريد تلك المحافظة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

-بعد فترة- ذاع الخبر وانتشر كالنار في الهشيم ، أشعاره سيغنيها المطرب الكبير في فترة قريبة جداً. لمع نجمه واشتهر كشاعر غنائي ، توافد إليه الفنانون والصحفيون وصادقه الشعراء ودعوه الى الامسيات والمهرجانات ، واستقبله الناس بكل حفاوة وترحيب ، يسألونه عن أشعاره ودواوينه وجديده متى سيطبع.؟. ويتباهى بثقة غير معهودة حيث يرد:

- إنشاء الله ستسمعون... نعم وسيكون قريباً جداً.

بعد مدة زمنية لابأس بها ، سمع من أصحاب الستيريو هات بان الفنان الكبير قد أنجز شريطه وسيتم توزيعه بعد عدة أيام فقط.

وتم توزيع الشريط (الكاسيت) فعلاً. وما ان سمع بوصول الشريط ، تحركت خلية النمل في جسده ولم يعد يتمالك ذاته وفضوله ، فبادر الى اقرب محل يطلب الكاسيت الجديد.

أخرج النقود ليحاسب..إلا ان صاحب المحل رفض رفضاً قاطعاً واقسم بأنه لن يأخذ قرشا واحدًا وأردف قائلاً:

- مستحيل يا أستاذ ، فتشريفك لمحلنا هو فخر كبير لنا ، ثم نحن لم نجزك ولو بعضاً من حقك وحق باقي الشعراء من أمثالك ، يجب ان نكرمك ونكرم كل عظيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مثلك ، انكم تضحون الكثير ، تبقى الشهرة للمطربين وانتم وراء الكواليس ، الشاعر في بلدان العالم له حصة على إبداعه بل ويأخذ أجراً ممتازاً ، ألا تستحق على الأقل هذا - الكاسيت - المتواضع.

- شكره على مجاملته الرقيقة ،واتجه نحو الدار مسرعاً ، واجتمع الأهل حوله لسماع أشعاره الملحنة والمغناة بحنجرة أعظم فنان.

لمس مفتاح التشغيل بحنو وضغط.... الأغنية الأولى....لا ليست هذه..... ثم ليس من المعقول ان يضعها في المقدمة ، (خليك واقعي أبو الجوج ، هناك شعراء كبار ألا تعلم أنه يغني لجكرخوين ، تيريز ، فقه طيران) ...قد تكون التي تليها ... هذه أيضاً ليست هي...

مرت الثالثة....الرابعة...انتهى الوجه الأول....

- الوجه الثاني...وصل الى الأغنية الاخيرة... مرت كسابقاتها ، تغيرت ملامحه واكفهر.

واصبح كبالونة تسرب منها الهواء ، صغر شيئاً فشيئاً ، وأحس بدوران الأشخاص والجدران من حوله وتتم:

- لماذا...؟ لماذا طلب الأشعار مني ولم يغنها...هه؟!. هل مشاعر الناس عنده لعبة ، دنا من الهاتف ، رفع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السماعة - انتبه له أخوه - سأله:

- سأتكلم مع الأفندي ، لم النفاق؟ لم الكذب؟. كان بإمكانه ان يقول الصراحة ، لماذا ورطني وجعلني أضحوكة بين الناس.

- إذا اخبره ليلاً ...انه لا يستحق ان تهدر قرشا واحداً لأجله ، سيكلفك ثمن المخابرة الآن أكثر.

- لايهم ، لأخسر خمسون ألفاً ، يكفي ان أشفي غليلي الآن وفي هذه اللحظة؟انه عديم الإحساس والأخلاق؟

وضع فهرس الهواتف أمام ناظريه ، وهو يرنو الى الرقم الطويل ، وبدأت سبابته بالعمل ، تفصد جبينه عرقاً ، أوصاله ترتعد ، عروقه كادت تخرج من رأسه ، لم يعد قادراً السيطرة على جسده الملهب ، الضغط مرتفع حيناً وهابط حيناً اخر ، فقد التوازن والحكمة ، سمع ردّ الهاتف.... ترن....ترن ...

- آه ...التقط الرقم...ياحظك العاثر...سأشفي غليلي منك.

- هالو ...يس...ذيس أذ نمبر

- قاطعه بحده - هذا انت أيها الفنان ...كم انت بارع ، حدثوني عن دهائك فلم اصدق ، إلى أن وقع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفأس بالرأس.

- صوتك ليس بغريب عني؟ اعتقد بأنني سمعتك قبل الآن؟ أنت من تلك البلدة الصغيرة للأسف لم اعد أتذكر اسمك؟ أو اسم بلدتك؟.

- طبعاً ستنسى اسمي ، وهل يهمك أسماء وأحاسيس الناس....

- عفواً ، ماذا تفضلت؟!..

- أظنك سمعت ما قلت...

- يا أخ اسمعني جيداً مازلت في انتظار أشعارك ، ولكنك لم ترسل إلي شيئاً إلى الآن.....

- نعم ، عليّ أنا... أفهم يا فنان ، المرء لا يلدغ من جحره مرتين ، وأنا لا اسمح لنفسي بأن الدغ من جحري مرتين ، اعتقد مرة واحدة تكفي ، إياك ثم إياك ...

- صدقاً ياأخ أشعارك لم تصلني بعد ،وأنا في انتظارها.

- هل تبغي جنوني يا رجل ، لا تخرجني عن طوري؟. أقول لك بعثتها ...بعثتها منذ شهرين واكثر ..... بعثتها....- وقبل ان يضع السماعة - كان الصوت من الطرف الثاني ينادي: ....هالو ....هالو .....

٥- ٦- ١٩٩٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اسمها والعيون

حفلة افتتاح المعرض لفنان تشكيلي مغترب ، المدعوين من الشخصيات السياسية والأدبية والاجتماعية معظمهم من المغتربين ، باستثناء بعض الرؤوس التي كانت تؤكد انتماءها إلى القارة الاوروبية. امتلأت الصالة بالمدعوين ، وفي مثل هكذا مناسبة ، تبدو فرصة طيبة للتعارف ، حيث تسمع القهقهات واللغط ، الضحك والابتسامات وفي بعض الزوايا الهمسات. يؤكدون للمشاهد على انهم قد انهوا جولتهم في المعرض. وهناك البعض ما زال يقف أمام اللوحات بخشوع وتأمل.

كانت تنتقل بين الكتل الآدمية تشاهد اللوحات بإعجاب وسرور ، لأنها المرة الأولى التي تزور مناسبة كهذه وفجأة تسمرت بمكانها وسرت رعشة باردة في جسدها ، كأنها رشقت بسطلٍ من الماء المثلج ، بدأت بأطرافها حتى عمت كامل الجسد ، انشل حركتها وخارت قواها ، الأطراف لم تعد تتحمل الوقوف . العيون جامدة ، ثابتة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

باتجاه واحد فقط ، باتجاه لوحة تحاكيها بعيون جد حزينة ، كئيبة ، تسرد لها قصص وحكايات عمرها أربع سنوات خلت ، مّرت خلال هذه اللحظات ، أوقات كانت مدفونة.... منسية...كامنة. لحين هذه اللحظة.

دارت عقارب الساعة إلى الوراء وهي مازالت جامدة- تتمتم - والعيون مستقرة في اللوحة انه هو؟...هوبالذات؟.

- سألت ذاتها- مع أن قلبي لا يخونني إلا أنني سأتأكد من الفنان أيضا؟.

بتثاقل وبطئ شديدين خطت بضع خطوات نحو اللوحة وكأنها حاملة جبل من الحزن

- أيعقل أن يكون...؟

- وما علاقته بالفنان..؟

تشتت أفكارها في تلك اللحظات المريرة ، أسئلة عدة تريد أجوبة صريحة ،صادقة ،انتبهت حولها وكأن عيون الحضور ثاقبة باتجاهها فقط .

بالرغم من آلامها وأوجاعها إلا أنها تمالكت وحاولت أن تتظاهر وتبدو طبيعية. بادرت تلملم بعض من قواها المنهارة ، تنفست الصعداء ،رفعت جسدها قليلاً ، تجولت بعيونها تبحث عن الفنان. تقدم نحوها شاب ذو هيئة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقلدة لشبان الأوروبيين وابتدرها قائلاً:

- هالو

- هالو...انت..

- قاطعها - عفواً اعتذر نيابة عن الفنان ، وأتمنى أن تكون قد أعجبتك المعرض

- جداً!! لهذا طلبته.

- خدمة أخرى؟

- ردّت بعصبية: أود رؤيته.

- يقول المثل: (الغائب حجته معه) ، وقد لا يأتي هذا المساء.

- حسناً... حسناً. هل لي بمعرفة اسم الفنان؟

-ألم تنتبهي إلى اسمه على اللوحة ، اعتقد أن الرسامين ينسون كل شيء ، حتى أمهاتهم ولكن لاينسون اسمهم وتوقيعهم على اللوحة؟.

- لا...أقصد اسمه الحقيقي. هنا أغلب الأسماء فنية أو حركية مثلما يسمونها السياسيون.

- كل ما أعلم أن اسمه آرشفين؟.

- كم كنت ارغب برؤيته؟ ألم يترك لكم عنوان... رقم التليفون... او أي شيء للاتصال به .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- لـدينا عنوانـه وإذا كنـت راغبـة لشـراء..... -أثنـاء ذلك- سمعا صوتاً يعتذر للجميع بسبب ظروف قاهرة اضطره للتأخير. كان الصوت الآتي هو صوت الفنان

- ابتسم الشاب- وقال:

- أنـت محظوظـة يـا أختـاه ، هـا قـد جاء ،وبإمكانـك التحدث إليه ، والاتفاق على سعر اللوحة.

ازدهـرت أسـارير وجههـا لقدومه ،وتقـدمت نحـوه وهـي ترنو إليه بشوق وحنية ، كأنها على معرفة به منذ أمد بعيد واقتربت حتى لاصقته.

- كان شاب متوسط القامة والمواصفات. يكسوه شعر خفيف ذو جبهة عريضة ، حليق الوجه والشارب.يملك قدراً من الحنكة والذكاء ..لفت انتباهه إلى تصرفاتها والى أسارير وجهها ، ولمح في عيونها الذابلة شيئاً - قال في سره -يبدو أنها تخفي سراً في ذاتها ، هذه التصرفات ليست إعجاب ، كما انهاليست.....(....)

وبحركة لا شعورية مدّت عنقها إلى الأمام قليلاً ووضعت يدها على صدرها ، مقدمة نفسها إليه

- شاهي؟... أنا شاهي...أسمي الحقيقي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- آرشفين... أسمي الفني والحقيقي أيضاً. (ابتسما بان معاً).

- دعاني أحد الأصدقاء إلى الحفل.

- لي الشرف.

- إنها المرة الأولى التي ازور معرضاً؟

- أتمنى أن يكون قد نال اعجابك.

- جداً..! ولهذا كنت أود رؤيتك؟

- بخصوص.

- تلك اللوحة..! - وأشرت بإصبعها إلى اللوحة المقصودة.

- تقصدين لوحة (زمبيل فروش) ما بها؟!.

- لديّ بعض الاستفسار ، لو سمحت؟.

- تفضلي.!

تقدم الاثنان باتجاه اللوحة ، وازداد سرعة دقات قلبها ، اضطربت في خطواتها قليلاً. حاولت جاهدة أن تتمالك نفسها وهي أمام اللوحة. أردفت قائلة:

- في البدء أشكرك على هذا الفن الجميل الرائع ، وعلى هذه الألوان المنسجمة مع مواضيع لوحاتك وبصراحة لديك دقة حتى في الجزئيات ، وبالأخص هذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العيون التي تبحرك بعيداً بعيد ، هذه العيون الحزينة التي تكمن في قراراتها أسراراً وحكايات. والملامح التي تدلك مباشرة على كردية هذا الوجه ، ...الشارب.. اللون الحنطي.. سؤالي هو ، هل هذا الوجه حقيقي أم من وحي خيالك؟.

- بدت ابتسامة الرضى على الفنان- وقال:

- شكراً لملاحظاتك ، كل ما ذكرته صحيحاً ،بالرغم من أن هذه زيارتك الأولى كما تقولين ولكن لديك قوة في الملاحظة ولا أبالغ أن قلت لك أن هذه اللوحة بالذات غالية جداً لدي،وسأسر لك بان هذه العيون الحزينة وهذا الوجه ليس من وحي خيالي ، بل هو وجه شاب غال اعتبره أخي وصديقي وأستاذي في الرسم وهو الخيط الذي يربطني بالوطن.

- لدى سماعها بالوطن - انتابتها الرعشة ثانية وكادت تهوى على الأرض ، شعرت بدوار في رأسها. بألم وحزن عميقين اعتصرت قلبها الموجوع ، احتبست البكاء في حنجرتها ، حجزت الدمع في مقلتيها فأصبحت تهذي وتتمتم:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- إحساسي كان في محله ، عيناي لم يكذباننني ، إذاً هو؟

- نعم يا آنسة لم افهم؟

- لاعليك ، إنها لقصة طويلة.

- أية قصة؟

- قصة استاذك.

انتبه إلى هذه الكلمة ، تبادر إلى ذهنه شيئاً ،فبادرها قائلا: قلت لي إن اسمك شاهي؟!

- نعم!

- يالله...يا للمصادفة...هل هذا معقول؟ كان يحكي لي في رسائله عن حبيبته والغربة.وضرب يده على جبينه ، يالغبائي ، كيف لم استطع معرفتك منذ البداية تفضلي معي إلى بار قريب من هنا لتحدثينني عنك وكيف وصلت إلى هنا؟

- حسناً..؟ سأتحدث لك ، ولكن اخبرني أنت عنه في الأول.

- تفضلي؟

دخلا البار... جلسا صامتين... اخرج علبة الدخان. نظرت إليه وهو يشعل السيجارة وقالت بلهفة ولوعة المشتاق:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- اخبرني عنه أرجوك؟

- وماذا أخبرك؟

- عن كل شيء ، أين هو الآن؟ ما هو ظروفه؟ هل تتصل به؟

نعم اتصل به وأراسله بشكل دائم ،انه إنسان عظيم - هز برأسه - نعم عظيم وتقول الحكمة عن العظماء. أن العظيم له قلبان ،قلب يتألم وقلب يتأمل.

ارتسمت على شفتيها ابتسامة صفراء حزينة وقالت :

- لا اعتقد بان يكون للأمل بقية ، بالتأكيد إنه يتألم ، لأنني عشت معه أحلى أيام حياتي ، كان في منتهى الرقة والأخلاق وعلى قدر من العلم والمعرفة.كان جميع أفراد عائلتي يثنون له وموافقون على ارتباطنا،باستثناء أحمق أميّ لا يفقه في الدنيا شيئاً هو ابن عم لي (خرجت من أعماقها تنهيدة قوية – واستأنفت -) فقد وقف في طريقي وحيرني ، وتعلم ما معنى الحيارفي مجتمعنا ، أنها اوسخ مصطلح وعادة بالية يرفضها التمدن والحضارة .وبعقله السقيم فرقنا عن بعضنا ،وللأسف أيده العشيرة بذلك ووقفوا بجانبه ، عندما طلبوا والدي للإنصاف - وكررت كلمة الإنصاف وهزت رأسها - ذرفت دمعة على خدها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واستأنفت ثانية - اتفقوا جميعا على تزويجي من شخص ثالث ، كوني رفضت ابن عمي بشدة وهددتهم بالانتحار. وكي لا ألطخ سمعة أبي بين العشيرة ،انتزعت قلبي من صدري.

- وتزوجت من الشخص الثالث؟/ قالها الفنان بألم/

- نعم

- وأين زو...؟ - وقبل أن يكمل – ردَت قائلة:

لم نكن متفاهمين ، كان يعيرني بالماضي وكانت النتيجة ابغض الحلال وضياعي هنا.

١٩- ١٢- ٢٠٠٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اذكروا محاسن موتاكم

قبل أن أدخل إلى المجلس سمعت صوتا مألوفا لدي من عادته أنه يتحدث في العزوات بكل شجاعة ، لا يهاب أحدا ، يتمنى الخير للجميع ، يكره التملق ، شخصية معروفة لدينا جميعاً ، تجاوز السبعون من العمر أحاديثه جريئة وشيقة وأمثلته جد واقعية ليس لديه غني أو فقير ، لا كبير إلا الله ، يزور عزاوات الجميع ، والعزاء عندنا تبقى عادة ثلاثة أيام واحيانا تدوم لأسبوع ، حسب الوضع المادي والعشائري للأسرة ، حيث تنصب خيمة أو اكثر ، طول الواحدة منها عشرون مترا وعرضها خمسة أمتار للرجال ، وواحدة ينصبونها للنساء.

سلمت عليهم وجلست قبالته والجميع يتنصتون له مرغما منهم لاستماع أحاديثه إلا أنني أحببت حديثه الواقعي والجريء عن الإنسان المسلم وعن الشريعة الإسلامية وعن أمور الدين والدنيا. وتبين لي أن الحديث يدور حول شرح أية قرآنية: أن الله غفور رحيم وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شديد العقاب أيضا. كان البعض يتأفف وقد انتفخت اوداجهم غيظا ، لاصراره على ان يؤيدوه بالرأي ، الا ان احدهم وبذكاء حاول أن يغير مجرى الحديث الديني الى واقعنا ، واستلم شيخنا الحديث وانتقل الى واقعنا المزري في هذه المنطقة العشائرية . والتي لم تعد كسابق عهدها حيث كانت منطقة معروفة بكرمها وعطاءها وإنسانيتها . أما الآن الفساد والنميمة والربا واللانسانية قداستفحل في المجتمع ، كما لن أخفيكم سروري البالغ جدا لدى سرده هذه الحكاية:

يحكي أن ثلاثة أشخاص نزلوا ضيوفا على رجل واثناء وقت صلاة الظهر أراد الأول أن يتوضأ

فخرج معه صاحب البيت ليدله إلى مكان الوضوء فقال له الضيف:

- لا تهتم كثيرا بالباقي أنا الشيخ وهم كلابي ،
- ...؟....(لم يرد صاحب البيت سوى بابتسامة باردة).

خرج الثاني للوضوء فاصطحبه صاحب البيت إلى المكان ، همس الضيف وقال:

- أنا الشيخ لاتهتم بهؤلاء الكلاب
- .....؟. (ابتسم ابتسامة صفراء وهز رأسه).

خرج الثالث أيضا همس في أذنه وقال:

- لاتهتم بهم كثيرا انهم كلابي والشي.....

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- سبقه صاحب البيت وقال:أنت الشيخ والزعيم وابن الأصول من بينهم. وهم كلابك؟

انزعج صاحب البيت كثيرا من تصرفاتهم ، ومن سوء أخلاقهم ومعاملتهم للبعض ، فذهب لزوجته لإحضار الطعام وذبح شاة وقال لها: عليك تحضير الغداء بسرعة وهمس في أذنها.

- استغربت المرأة وقالت لزوجها: ماذا تقول!؟

- لا عليك افعلي مثل ما أطلبه منك؟.

أثناء تناول الغذاء قدم صاحب المنزل السفرة إلى الضيوف وقال لهم تفضلوا ، تقدموا للطعام

— نظروا إلى بعضهم وقالوا: ما هذا؟ عظام فقط . ماذا نفعل بها؟

— لتأكلوها!؟ لقد قمت بواجب منزلي وذبحت وأمرت زوجتي بفصل اللحم عن العظم وتقديمها لجنابكم لأنها طعامكم المفضل ، كونكم انتم الثلاثة كلاب.

خيم الصمت قليلا على مجلس العزاء ونظر بعضهم إلى بعض ، اصفر وجوه بعض ، واثلج صدور بعض ، انتصب أحدهم وحمل عباءته وخرج ، ثم تلاه شخص ثاني وثالث ورابع وهم يحدقون بالمتحدث نظرة كلها حقد وازدراء.

- الدرباسية- ٧|١|٢٠٠٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ألم وندم

١٠.

يكاد رأسي ينفجر ، تأخذني الأفكار بين أمواجها المتلاطمة بعيداً بعيداً ثم تعود بي إلى حيث كنت ، لا استقرار في ذاتي ، عقلي شارد حيناً وفي حالة صحو تام حيناً آخر ، نار تتأجج في داخلي. أحرق نفسي بنفسي ، أحاول نسيان الموقف ولكن هيهات؟

لم أعد قادراً على التركيز ، أخطئ في الحسابات ، لم أعد أحتمل ، لذا عليّ إغلاق المحل وأخذ حبوب السيتامول من الصيدلية والعودة إلى البيت.

لا أعرف كيف تمالكت نفسي ولا كيف وصلت؟! أخرجت شكالة المفاتيح من جيبي وفتحت الباب ، كانت الدار يكتنفها السكون والصمت ، ساده الصمت وكأن الحياة هجرتها ، أين تلك الأصوات والحركات والمشاغبات اللطيفة؟! لم هذه الدرّاجة وتلك الألعاب حزينة ، كئيبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مرمية في زوايا الإهمال ، ازداد الصداع ألماً.

رغم معرفتها بقدومي إلا أنها لم تأبه بذلك ، كانت في حالة شرود وذهول وخيبة ، أعرفها أكثر مما أعرف نفسي ، تشعر بجرح عميق وإهانة كبرى في كيانها ، خجولة من رفع رأسها ومكالمة طفليها.

-٢-

دنوت وجلست بجانبها على السرير ، شعرت بألم يمزق صدري ، يجعلني أشلاء مبعثرة ، احتقرت ذاتي على هذا التصرف اللاحضاري واللاإنساني ، أين الإخلاص؟ أين المودة؟ وأين القسم؟!.

أمانة في عنقي!....شريكتي التي أعجبت بها ونلتها؟!.... أم ولديَّ ، كانت أمنيتي أن أختار لهما أماً متعلمة ، تجمع الأخلاق والمعرفة ، تعلمهما القراءة والكتابة منذ الصغر وقبل دخول الحضانة تعلمهما الأدب والاحترام . ولدي اللذان يجب أن يكونا(....)؟!! ــ ننور لهما درب المستقبل.؟!! ...

وبعد أن اخترت لهما خير أم ، وحمدت الله على هذه الهبة فماذا بعد؟ وماذا أريد؟.. أنا المدافع بكل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحاسيسي وإنسانيتي عن حقوق المرأة؟

أنا المتباهي بديمقراطيتي وتفكيري ، وأقول لو خلقني الله في عهد قاسم أمين لسبقته في الدفاع عن المرأة؟! ، أقوم أنا بهذا العمل اللاأخلاقي المنافي للشرع والقانون: نظرت إلى كفيّ باشمئزاز ، ألأجل؟ أنّ يعلم مجتمعنا شبه البدائي بأنني قوي قادر على ضرب زوجتي؟! ألأجل أن يسمع الجيران صُراخها وتنتشر بين الناس سيرة بطل؟! .

ـ٣ـ

آه... لخيبتي... آه لتصرفي الشاذ ، أصبحت أمقت نفسي ، أشمئز منها وكأنها تخبئ وجهها الملائكي بكفيها والطفلان يرمقانني بنظرات كلها استياء حاولت التكلم معهما وإخراجهما من دوامة ذلك الصمت.

ـ آزاد... آفروديت...؟ لقد اشتريت لكما (الدوندرمة) اذهبا.. لقد وضعتها الثلاجة؟ ... وأنت يا (....) ، ربت على كتفيها بحنان. كفاك تعذيبي؟ ليعلم الله أنني عندما أفعل شيئاً ما ، لا أندم ولا أعتذر ولكن الآن فقط وبما أنني قمتُ بتصرف خاطئ ومؤذ ،غير وارد في قاموس حياتي فسيكون لي الشرف أن أعتذر منك وأعترف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بذنبي وأتمنى أن لا يتكرر مثل هذا للأبد ، انتشليني من بين براثن هذه العاصفة الهوجاء؟... أكاد أختنق؟.

ـ انهضي..؟ وسامحيني... ها قد اعتذرت منكِ لا تخيبي ظني ، عرفتك أصيلة ولامستُ يديها الجامدتين ، رمقتني بنظرة فاترة دون أن تنبس بشيء ولكنني أحسست بما يجول في داخلها وما قالته لي:

ـ أين نضارتها وإشراقها؟ ...

ـ أين بريق عينيها؟

لقد ذبلت كالزهرة في هذه السويعات القليلة.

لا تزال يدي فوق يديها ، ... شعرت بسريان الحرارة في جسمها شيئاً فشيئاً ، رفعت رأسها قليلاً ، تبين لي أن الوسادة مبللة بالدموع. إلا أن استدارتها نحوي وعيناها اللتان تحاكيان وجداني وقلبي وتقولان ماذا فعلت بك؟ ما ذنبي؟ لِمَ هذه العصبية المفرطة؟ أهكذا تواعدنا؟

انتبهت إلى تلك الدمعة التي كادت أن تسقط على الوسادة ، فمسحتها بيدي ومسدت شعرها وأنا أقول ثانية: سامحينني..

ألم تسمعي بتلك المقولة الدّارجة: أن المسامح كريم وكريمٌ جداً. فارتسمت على شفتيها ابتسامة جعلتني أقفز فرحاً.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفهرس

- الاهداء . . . . . .
- المقدمة . . . . . .
١ –الحدود . . . . . .
٢ – العواصم . . . . . .
٣ – المشهد . . . . . .
٤ – على ضفاف الخابور . . . . . .
٥ – التنهيدة الاخيرة مع الفجر . . . . . .
٦ - المدير . . . . . .
٧ – ليتني كنت السابع . . . . . .
٨ - جوكندا تسرق المعرض . . . . . .
٩ - الخطيب . . . . . .
١٠ – الوصفة. . . . . .
١١ – محترم .. قبل الحصاد . . . . . .
١٢ – المكالمة . . . . . .
١٣ – اسمها والعيون . . . . . .
١٤ – اذكروا محاسن موتاكم . . . . . .
١٥ – الم وندم . . . . . .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com